Wahas Publishing House

سلسلة كتاب الجيب

A - 106

الحب الحاكم

بلا عنوان
www.liilas.com

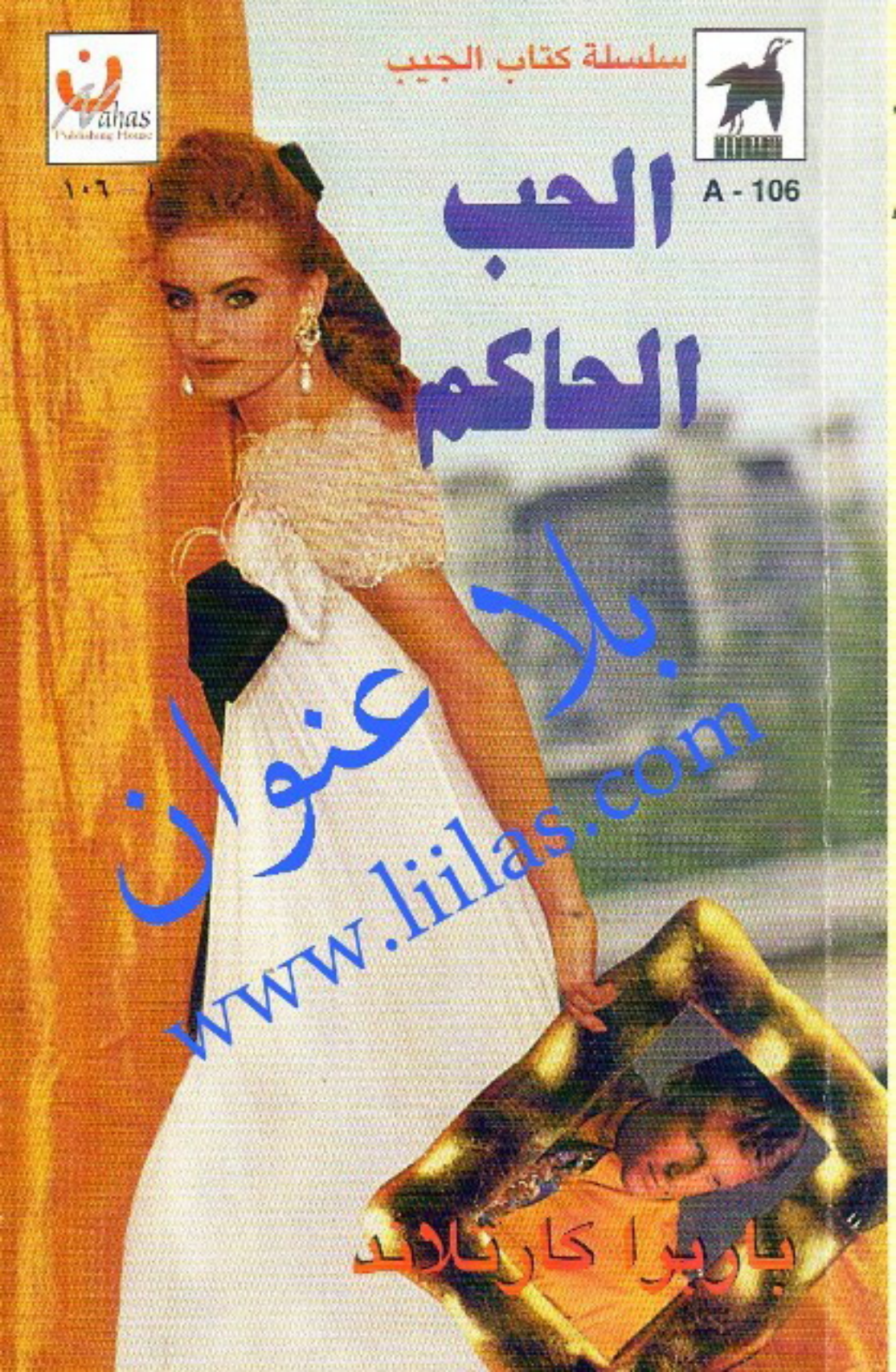

باربرا كارتلاند

الفصل الأول

١٨٨٢

نظرت تيلا حولها في قاعة الاستقبال، فلمحت ورق الجدران ينقشر من احدى الزوايا. كما ظهر على السطح بقع عفن جديدة لم يسبق لها ان شاهدتها.

تنهدت بمرارة. لأنه لم يكن هناك أدنى امل باصلاحه.

وتصورت انه كباقي غرف هذا المنزل سيزداد العفن شيئاً فشيئاً حتى ينهار كل الطلاء.

مجرد التفكير بالأمر يشعرها بالكآبة.

سارت نحو النافذة لتنظر عبرها للحقول والحديقة المهملة.

كان عزاؤها الوحيد أن شجرة البلوط في الحديقة بقيت نضرة وجميلة كما عهدتها دائماً وتحتها مرجة من النرجس كأنها سجادة.

الربيع يجلب دائماً البهجة، ولكن كل سنة كانت تبدو لها اكثر سوءاً.

فكرت بيأس عندما خلدت إلى النوم الليلة الماضية كيف سيتمكنوا من البقاء على قيد الحياة.

لم تكن تعيش بمفردها، انما مع أخيها روبي وخادمين

عجوزين هما كوبلن وزوجته، وكانا في ستافرلي منذ حوالي اربعين سنة.

بدآ كخادمين صغيرين يعملان في المطبخ. واخذا يتطوران في العمل حتى اصبح كوبلن رئيس الخدم وزوجته الطاهية الأولى في البيت.

كان لديه ثلاث خدم تحت امرته. اما زوجته فقد كان يساعدها ثلاث خادمات في المطبخ واثنتين في غرفة غسل الاطباق.

«كان ذلك في الايام الخوالي السعيدة.»

كم مرة سمعت تيلا ذلك، وكم كانت تعتبر ذلك صحيحاً.

مازالت تتذكر، عندما كانت طفلة، الاوقات الجميلة التي كانت تحييها والدتها. حيث كانت عربات الخيل الاصيلة تقف عند المدخل الرئيسي لتخرج منها سيدات ترفلن باحدث الأثواب وتتألقن بأجمل المجوهرات.

كانت تيلا تسترق النظر من خلال الدرابزين وكأنها ترى مشاهد من الف ليلة وليلة. فلقد كانت والدتها ترتدي عصبة مرصعة بالجواهر وتبدو كأنها ملكة.

بالكاد تستطيع تحمل تذكر كل هذا الآن.

مع ان العصبة المرصعة مازالت لديها، ولكن اغراض مهمة قد تم بيعها.

كل ما بقي من ذلك، عدة صور لاسلافها كميراث، ومجموعة من الفضيات والخزائن المطعمة ومجموعة رائعة من الدروع وبالطبع النسخ الاصلية في المكتبة.

قال روبي بغضب عندما اتى آخر مرة إلى البيت: «وما الغاية منها لولد لن اتمكن من الحصول عليه.»

كان يعيش في لندن للبقاء بجانب اصدقائه، وليتمتع بحياته قدر الامكان، ذلك لأنه لم يكن يملك اي مال.

كان يسعد اصحابه ان يستضيفوا بارون جذاب وغير مرتبط إلى حفلاتهم.

وبالتأكيد كانوا يرفضون وجود فتاة لا معيل لها، حتى ليس لديها ثوب واحد تستطيع ارتدائه في قصر باكنغهام.

لأجل ذلك بقيت تيلا في الريف. لم تمانع لذلك طالما لديها حصانها لتتنزه عليه.

اما الآن فقد اصبحت بائسة تماماً طالما لم يبق لديها مال حتى للأكل.

كانت تعلم ان ليس هناك من فائدة في التشاجر مع روبي، وهي تعلم علم اليقين انه غارق في الديون مع انه يخجل من الاعتراف بذلك.

لم يكن بامكانها او بامكان اخيها اللجوء إلى اقاربهم، فاما انهم ماتوا أو انهم يعانون أزمة مالية شديدة.

سألت مرة اخاها: «الم يكن لدى ستافرلي اي مال؟»

اجابها: «كان بعقدور البارون الأول بناء هذا البيت اما الثاني والثالث فقد عملا على تحسينه. وجدي لسذاجته، انفق عليه مبلغاً طائلاً.»

سألت تيلا: «ما الغاية من بناءه بهذه الضخامة مادام لا يوجد مال للعيش فيه؟»

اجاب اخاها: «اعتقد كان هناك الكثير من المال في تلك الفترة، كما ان أبي ورث ايضاً الكثير من المال.»

كانت نبرة صوته مليئة بالازدراء، وهذه حاله دائماً عندما يتكلم عن ابيه. وكانت تيلا تدرك تماماً سبب مرارته.

كان السيد اوسمند ستافرلي البارون الخامس وسيماً، جذاباً ومسرفاً، وكان يسعده العيش في منزله الفخم ومقاطعاته الشاسعة عندما كانت زوجته حية، ولكن بعدما توفيت عاد إلى حياته الماضية التي كان يحياها.

لم تتفهم تيلا تماماً ماذا كان يفعل والدها. كانت تظن ان والدها يمضي وقته باللهو، ولسبب ما لم تتحقق من ان هذه التصرفات تكلف الكثير من المال. فلقد كان هناك الخيول وعربات السباق على انواعها. واكثر ما كان يستحوذ على اهتمامه سباق الخيل.

تابع روبي: «بدّد كل المال على الخيول الخاسرة واللهو.»

لم تفهم تيلا كل هذه الأمور، ولكنها تعلم تماماً الدين الضخم الذي تركه والدها.

كان قد اصيب بطلقة نارية، وكل ذلك بسبب امرأة. التنازع كان امراً مرفوضاً في عهد الملكة فكتوريا ولكن هذه الامور كانت تحدث بسرية تامة.

لم تستطع تيلا تحمّل نبأ مصرع والدها الوسيم والرائع في الحديقة العامة، اما الرجل الذي قتله فقد غادر البلاد.

وبدون شك سيتمكن من العودة بعد ثلاث سنوات. ولكن لن تكون هناك عودة ابداً للسيد اوسمند.

كانت صدمة قاسية عليها وعلى أخيها الذي غادر إلى اكسفورد.

لم يكن يتوقع ابداً السيد روبرت ستافرلي أن يجد نفسه البارون السادس بهذه السرعة.

قال غاضباً: «لقد تركت بدون اي فلس لأحمي نفسي.»

وافق دائنو والده على تخفيض ١٠٪ من الديون وكان

ذلك ممكناً فقط ببيع كل شيء ذات قيمة. ولم يشمل ذلك محتويات المنزل الذي تركت جدرانه خالية، وانما كان عليهما ايضاً بيع جزء من العزبة التي اضيفت منذ حوالي الخمسين سنة فقط لحسن الحظ، أو لسوءه، والتي كانت تحوي ثلاثاً من افضل المزارع.

كما بيعت ارض خصبة والتي كانت تدّر مبلغاً ضخماً من محصولها. كل ما بقي غابات شاسعة، كانت تيلا تحبها كثيراً لأنها جميلة ولم تعرض للبيع.

كان هناك الكثير من المراعي ولكن لم يكن هناك خيول لترعاها. كما ان بيوت المتقاعدين كانت منتشرة في القرية بعيداً عن البيت الاساسي.

لم يكن قصر ستافرلي هو الوحيد الذي يرثى لحاله. فالاكواخ المنتشرة تفتقد لكل الواح الزجاج، والابواب امام الحدائق كلها مكسورة أو مفقودة.

قالت تيلا مرة لأخيها قبل ستة اشهر: «اخجل من الذهاب إلى القرية.»

أجاب: «لو لم يكن لدي بدلة جديدة للسهرة لما تمكنت من قبول الدعوة وبذلك كنت سانام جائعاً.»

سألت تيلا بياس: «ماذا سنفعل؟»

اجابها: «لا أملك اي فكرة لذلك.»

وغادر إلى لندن آخذاً معه سجادة ليبيعها للحصول على بعض الباوندات، لأنها لم تكن مسجلة في قائمة الرهونات.

قال روبي: «اعتقد ان احداً ما سيلاحظ اذا اخذت العصبة وبعتها ولا شك انها ستجلب لنا سعراً مناسباً.»

شهقت تيلا بغضب: «لن تجرؤ على ذلك، فالمحامي

البغيض والذي لا اعلم لماذا اصبح احد القيمين علينا، يأتي كل ثلاثة اشهر ليرى ان فقد اي شيء.»

تأففت قبل ان تتابع: «انني اكرهه، ودائماً امضي نهاري خارجاً عندما يأتي فهو يحشر نفسه في كل شيء.»

قال روبي: «اعتقد انه يقوم بواجبه. عندما افكر ما للطبعة الأولى لمجلد شكسبير من قيمة، اشعر بالرغبة في بيعه وخسارة كل ما تبقى.»

اجابت تيلا: «لن يكون لها اي قيمة بهذا العمل وانت تعلم تماماً مثلي ان تصرفاً شائناً كهذا اذا علمت به الجرائد سيمتنع كل اصحابك الظرفاء عن استقبالك.»

رد بسرعة: «هؤلاء الاصدقاء الظرفاء كما تسميهم هم من يؤمنون لي الغداء والعشاء طالما لا استطيع تأمين فطور الصباح.»

فكرت تيلا انها لا تستطيع تأمين اي وجبة طعام لها أو لأخيها. ولولا وجود الارانب والحمام البري والبط في المنطقة كانت هي وال كوبلن يشكون من الجوع.

عندما كانت صغيرة علمها والدها الرماية، ومع انها تكره هذا العمل إلا أنها ان لم تفعل ذلك فلن تجد ما تأكله. زرع كوبلن بالرغم من مرضه بالروماتيزم البطاطا وبعض الخضار التي كانت تنمو بين الاعشاب البرية في حديقة المطبخ وهذا كان خيارهم والا سينامون جائعين.

قالت لنفسها: لن نستطيع الاستمرار هكذا. ولكن ما هو البديل؟ فكرت جاهدة ولم تجد اي حل.

نظرت حولها في غرفة الاستقبال وفكرت كم كانت جميلة ومرتبة عندما كانت والدتها تهتم بها.

كانت الانوار على الشمعدان الكريستالي دائماً مشعة والازهار منتشرة لأن والدتها كانت مولعة بالزهور.

كما كان الاصطبل يعج بالخيول اما الآن فلا يوجد غير حصانها كنغ فشر وهي تحبه كثيراً لأنها تمطيه منذ صغرها. وفكرت بيأس ماذا سيحل بها عندما يهرم ولا تستطيع الركوب عليه، فمعه تهرب إلى البراري من كل ما حولها.

هناك تستطيع ان تتخيل انها ستجد كنزاً مخبأ تحت احدى الاشجار أو ربما ستكتشف نوع فريداً من الاشجار طال البحث عنه.

كانت القصص التي تقرأها في المكتبة هي كل اصدقاؤها، فبعد موت والدتها ورحيل والدها إلى لندن لم يعد هناك مجال للتسلية في قصر ستافرلي، حتى الجيران لم يهتموا لها، ومنذ سنة لم تدع إلى حفلة واحدة أو حتى استقبلت زائراً.

سألت نفسها: لما عليهم دعوتي؟ وفي حال تلقيت دعوة ما الذي سأرتديه؟ وبالطبع لم تجد جواباً لذلك.

كانت تتحدث عن هذه الأمور مع كنغ فشر لأنه لم يكن هناك من يستمع إليها.

قالت للجواد: «اشعر وكأنني في جزيرة مهجورة.»

لمسها بأنفه وكأنه يفهم عليها ويحاول التخفيف عنها. فطوقت رأسه بذراعيها وقالت: «لو كنت حصاناً أسطورياً لفعلت لي شيئاً، ولكنك مجرد حصان عجوز وانا احبك كثيراً.»

لقد امتطته ذلك الصباح وعلمت انه سيتعذر عليها الركوب عليه مجدداً. سارت نحو الحديقة التي كانت الاعشاب البرية

تغطي كل الزهور غير ان بعض الزهور كانت تتفتح وشجر اللوز مغطى بالزهر الابيض، تبعها كنغ فشر وكأنه كلب وديع وكانت تيلا تشعر بالفرح من كثرة الجمال حولها.

- اخبرت كنغ فشر ان الليلة ليس لديهم اي طعام للعشاء. وبعد ان وضعته في الاسطبل عادت إلى البيت.

وما ان وصلت حتى شعرت بوجود شخص ما في الباحة الخارجية وتعجبت من عساه يكون. ففي تلك الساعة كانت متأكدة ان كوبلن يرتاح في المطبخ.

وبحشرية خرجت من غرفة الاستقبال لتصيح بفرح ظاهر.

كان ذلك روبي يقف هناك، ولمحت من ورائه عربة جميلة يجرها حصانين. ركضت نحو اخيها ويديها مفتوحتين.

«روبي! روبي! انت هنا! كم هذا جميل.»

قال لها: «ظننت انك ستفرحين لرؤيتي، كيف حالك؟»

اجابت: «كنت بائسة تماماً حتى رأيتك! ما الذي اتى بك؟ ماذا حدث؟»

قال: «امور كثيرة، وهناك الكثير لاخبرك اياه، ولكن اولاً دعيني انادي كوبلن ليرشد السائس إلى مكان الاسطبل.»

اتسعت عينا تيلا من الدهشة. وعلمت ان ليس هناك من فائدة بطرح الاسئلة عليه. تركت روبي وركضت في الممر الطويل المؤدي إلى المطبخ.

دفعت باب مطبخ الذي يصل إلى غرفة أخرى وكما توقعت، فقد وجدت السيد كوبلن وزوجته نائمين. ترددت تيلا للحظة فهي تعلم كم يستمتعا بتلك القيلولة، ولكن روبي هنا وهذا اهم شيء الآن.

هزت كوبلن من كتفه وقالت بلطف: «استيقظ. السيد روبرت هنا.»

سأل كوبلن بسرعة: «آه؟ ماذا قلت؟»

«وصل السيد روبرت... الآن، ويريدك ان ترشد السائس إلى مكان الاسطبل.»

تمتم كوبلن: «عاد السيد روبرت؟»

وبينما كان يحاول النهوض فتحت زوجته عيناها وقالت: «اذا عاد السيد روبرت، يا آنسة أوتيلا، فانت تعلمين تماماً انه ليس هناك طعاماً للعشاء.»

كان كوبلن وزوجته يناديانها آنسة أوتيلا على اعتبار اسم تيلا يقلل من احترامهما لها.

قالت تيلا بثقة: «سنتدبر الأمر. لكنني سأتكلم مع السيد روبرت اولاً، كما انني لا اعلم ان كان ينوي البقاء.»

ارتدى كوبلن معطفه الذي كان معلقاً على احدى كراسي، وفي الحال بدا وكأنه رئيساً للخدم يعرف اللياقة لذلك البيت المهم.

مرر يده على شعره الأبيض وسار مرفوع الرأس القاعة الكبرى، حيث كان روبي بانتظاره يقف محدقاً بصورة للقصر معلقة بجانب ساعة لجده، تمت صناعتها منذ مئة عام.

كانت تيلا تنظر إليها بفخر دائماً ولكن الذي كان يحزنها ان ستافرلي ليست كما عهدتها. كان روبي يحدق بها بامعان ولم يستدر الا عند وصول تيلا وكوبلن.

قال كوبلن: «عمت مساءً، سيد روبرت.» فكرت تيلا ان صوته دائماً يشبه صوت واعظ مهيب.

اجاب روبي: «سررت بلقائك، يا كوبلن. هل ارشدت

السائس إلى مكان الاسطبل. انه سيمضي الليلة هنا، وكما تعلم ان سطح الاسطبل يرشح.»

اجاب كوبلن من دون ان يبدي اي استغراب: «كما تشاء، سيد روبرت.» وسار نحو الباب الرئيسي ثم إلى الباحة حيث تنتظر العربة.

قالت تيلا: «اذا كنت تنوي المكوث هنا الليلة انت والسائس، اتمنى ان تكون قد احضرت معك شيئاً للطعام، فلا يوجد اي شيء. اعني تماماً اي شيء في كل هذا القصر للأكل.»

اجاب اخاها: «هذا ما اعتقدته. لقد احضرت سلة كبيرة مليئة بالطعام الشهي مثل كبد الدجاج...»

حدقت تيلا به وسألته: «من اعطاك كل هذا؟»

«لقد اشتريته.»

ساد صمت قليل ثم عادت تيلا لتسأل: «هل انت تمزح؟»

قال اخاها: «لا. لدي المزيد لاخبرك اياه. لكن دعينا نجلس في مكان ما. كما انني احضرت لك نوعاً من عصير الفاكهة تحبينه ايضاً.»

قالت تيلا: «اعتقد انني احلم... الا اذا كنت اصبحت فجأة بين ليلة وضحاها... مليونيرا.»

قال روبي: «قريباً جداً.»

اجابت تيلا: «الان اصبحت متأكدة من انني احلم.»

سارت امامه نحو غرفة الجلوس المخصصة لوالدتها وكانت تماماً كما تركتها، لأنهم لم يستطيعوا بيع المفروشات الفرنسية، ولا الصور التي احضرها جدها بعد الثورة الفرنسية ولقد اصبحوا كميراث لكل البارونات القادمة.

كانت اشعة الشمس تدخل عبر النافذة، ومع ان الستائر قد بهت لونها، إلا أن الغرفة كانت تشع بالجمال. وكانت تيلا قد زينتها بباقات من الزهور.

اقترب روبي من المدفأة بينما اغلقت تيلا الباب وقالت: «تبدو مشرقاً.»

قال اخاها: «اعتقدت انك ستعجبين بمعطفي، وهو أول ما اشتريت.»

جلست تيلا على كرسي لويس الرابع عشر وقالت: «لنبدأ من البداية. عليك ان تعلم انني... اكاد أموت... من الحشرية.»

قال روبي: «اعتقد انه سيصعب عليك تصديق ما ساخبرك إياه. ولكن حظنا تغير بين ليلة وضحاها.»

سألت تيلا: «ولكن... كيف؟ ما الذي حصل؟»

اجاب روبي: «لقد أجرت القصر!»

«اجرته؟ لمن؟ وكيف يمكن للغريب... ان يعيش فيه... وهو على هذه الحال؟»

كانت الكلمات تتعثر وهي تخرج من فمها مما اضحك اخاها قبل ان يقول: «لقد اصبت بالدهشة مثلك تماماً عندما اخبرني باتريك أوكلي عما فعله.»

كانت تيلا تسمع اخاها يتحدث عن صديقه باتريك أوكلي، الذي كان الولد الاصغر لسيد نبيل ايرلندي، وتتذكر ان اخاها اخبرها كيف ان باتريك جعل نفسه انساناً مهما لكل الشخصيات المعروفة، وانه بعلاقته به تعرف على اناس لم يكن يفكر يوماً بزيارتهم. كما انه مسؤول مباشرة عن كل حياة التسلية التي يعيشها اخاها.

سألت تيلا: «كيف استطاع باتريك اوكلي تأجير القصر؟ وان

فعل ذلك، من الذي يدفع ايجار القصر في هذه الحالة المزرية؟»

اجابها اخاها: «هذا ما سألته تماماً، والجواب كان ببساطة... مليارديز اميركي.»

شهقت تيلا: «هل هذا حقيقة... حقاً حقيقة؟»

اجاب روبي: «انني اصدقك القول... انها الحقيقة.»

«هذا اغرب ما سمعته. والآن... اخبرني كل شيء من البداية.»

كان واضحاً ان روبي يرغب بأن يخبرها فقال: «كما كنت اخبرك سابقاً ان باتريك كونه لا يملك مالاً فانه يجعل نفسه في خدمة الآخرين حتى اصبح مثلاً شائعاً في لندن. ان من يرغب بخدمة من افقر الناس إلى اغناها، باتريك يمكنه تسهيل ذلك.»

ضحكت تيلا وقالت: «هيا، تابع.»

«لا اعتقد انني اخبرتك، ولكن باتريك سافر إلى اميركا بعد العطلة مع اناس اغنياء ولكن تلك قصة أخرى.»

وتذكر فجأة مع من يتكلم وتابع بسرعة: «وبالطبع باتريك اتصل بعديد من الناس في نيويورك، واعتقد انك تعلمين ان العديد من العائلات الانكليزية والاوروبية تبحث عن عرائس اثرياء من تلك البلاد عبر البحار.»

لم تكن تيلا تعلم شيئاً عن هذا الموضوع.

لاحظ اخاها تعابير الدهشة في عينيها فبدأ يشرح لها: «استطيع اعطاءك قائمة كاملة باسماء سادة ارستقراطين وبارونات اوروبيين يبحثون عن الفتيات الثريات كديوك جشعة.»

كانت تيلا تصغي وتعابير الدهشة على وجهها ولكنها لم تقاطعه.

«حسناً وبالثقة بباتريك ليجد شيئاً جديداً...»

فقاطعته تيلا: «وما هو... هذا الشيء؟»

اجاب روبي: «الوجه الآخر للعملة. مليونير اميركي يريد البحث عن زوجة انكليزية... وابنة الدوق لو كان ممكناً.»

ضحكت تيلا: «يبدو الأمر سخيفاً.»

قال روبي: «ليس فيما يعنينا.»

«تعني... بخصوص ايجار القصر؟»

«تماماً. وبذلك يستطيع البحث براحته ويمكنك التأكد ان باتريك سيجد من تناسبه.»

«ولكن كيف سيرضى بالقصر في حالته هذه؟»

«هذا هو المهم. لدينا من الوقت شهراً لنجعله يبدو كما كان يعيش فيه جدنا.»

«وهو سيدفع... كل المصاريف؟»

اكد لها روبي. «بالطبع سيدفع... انه ثري لدرجة ان الملك ميداس مجرد شحاذ بالنسبة اليه.»

«كيف ذلك... أيعقل؟»

اجاب اخاها: «كل شيء في اميركا معقول. لقد اخبرني باتريك ان كلنت ويكهام... وهذا اسمه... ورث ثروة طائلة عن ابيه كما انه يملك نصف خطوط سكك الحديد في اميركا.» تنهد قبل ان يكمل: «والآن بسبب ان المال يجر المال، ارضه في تكساس، وهي بلاد نشأته، قد تم التنقيب فيها عن البترول واكتشف فيها اضعاف ما وجد حتى الآن.»

«يبدو لنا.. انه أمر جيد جداً... من الصعب حدوثه. لا شك ان هناك عقبة ما.»

قال بلهجة الأمر: «توقفي عن دور المشكك. باتريك قد

اهتم بكل التفاصيل. سنجعل القصر رائعاً كما كان عهده، ولكن علينا تجهيزه بغرف حمام جديدة.»

تابع روبي: «فكر باتريك ان علينا تجهيز عشرة غرف كحمامات وهذا سيكون كافياً.»

اعترضت تيلا: «ولكن لا يوجد غرف كافية لذلك!»

رد بسرعة: «لا تكوني حمقاء. هناك خزائن كبيرة في كل غرف النوم كما اننا نستطيع تبديل الغرف لتصبح للثياب.»

سألت تيلا: «وما حاجته لكل تلك الغرف؟»

ضحك اخاها وقال: «الاميركيون يعشقون النظافة، واذا لم يحصل كلنت ويكهام على ما يريد فلن يرضى بستافرلي.»

«اذن لنفعل له كل ما يريد.»

قال روبي: «هذا تماماً ما سنفعله، ولكن علينا بالاسراع. وأول ما يجب عمله ان اعلم اسم كل بناء، نجار، رسام ومرمم في كل المنطقة.»

اجابت تيلا: «اعتقد أن كوبلن يستطيع افادتك اكثر مني.»

وافق اخاها قائلاً: «بالطبع. كما انني استطيع سؤال ذلك العامل في القرية، ان مازال حياً، والذي كان يعمل هنا أيام والدي.»

قالت: «تعني وليم ايمرسون؟ إنه مازال حياً ولكنه مريض جداً.»

«علينا الحصول على كل مساعدة ممكنة، والبدء بالنوافذ في غرفتي، فلقد اصبت بالرعب في تلك الغرفة من غير نوافذ.»

قالت تيلا: «باستطاعتك اختيار اي غرفة اخرى، ولكن هناك خطب ما في كل غرفة.»

«علينا جعل كل شيء على ما يرام وبسرعة.»

قالت: «لم اسألك كم سيدفع لنا، واعتقد ان هذا هو الاهم؟»

اجاب اخاها: «تمالكي انفاسك، لأن المبلغ ضخم جداً.»

سألته تيلا برجاء: «هيا، اخبرني.»

«سيدفع كل المصاريف، للتصليح والستائر والفضيات، السجاد وكل ما يطلب منه، اما بالنسبة لبقاءه هنا، فسيدفع ألفي جنيه استرليني كل سنة!»

صرخت تيلا من شدة الفرح وقفزت نحو اخيها وهي تقول: «لقد انقذنا... لقد انقذنا... وكل ذلك بفضلك. كم كنت ذكياً لتصادق شخصاً كباتريك أوكلي.»

اعترف روبي قائلاً: «لقد كان مهماً لي قبل هذا ايضاً، ولكن لم يسبق لي ان فكرت بأمر في غاية الروعة كهذا.»

قالت بحماس: «ان ما تقوله صحيح وبما ان السيد ويكهام سيمكث في هذا القصر تستطيع الانتقال إلى البيت المجاور.» ابتسمت وتابعت: «كنت احب كثيراً ذلك البيت، وهو ليس بحالة سيئة كهذا القصر، وبالطبع سنأخذ كل ما كانت تحبه والدتي وخصوصاً مفروشات هذه الغرفة.»

من كثرة فرحها كان صوتها يشدو كالموسيقى، ولكن فجأة انتبهت ان اخيها ينظر اليها والحيرة في عينيه.

لم يتكلم فسألته: «ماذا... هناك؟»

اجابها: «هناك حالة بالغة الاهمية علي اخبارك بها.»

«حالة.. من اي نوع... هذه الحالة؟»

قال بصعوبة: «اخاف ألاّ يعجبك الأمر.»

عادت تيلا لتجلس على كرسيها وقالت: «ماذا هناك؟ بالطبع السيد ويكهام لن يطلب امراً خطيراً؟»

«انه ليس السيد ويكهام.»

«من... اذاً؟»

شعرت تيلا ان اخيها يبحث عن الكلام قبل ان يتحدث. قال: «لم يدبر باتريك هذا الأمر لنفسه منذ البداية، ولكن مع رجل من نيويورك كان قد تعرف عليه من قبل.»

قالت تيلا: «انا... أنا لا افهم شيئاً.»

«سأحاول توضيح الأمر لك، مع انه من الصعب ذلك.»

«لماذا؟ صعب... ما خطب ذلك؟»

قال: «الحقيقة كلها ان هذا الشخص مهتم جداً للتعاون مع ويكهام ان في اعماله أو مشاريعه المستقبلية والتي هي في غاية النجاح.»

سألت تيلا: «ولما لا يسأل السيد ويكهام ليصبح شريكه في كل اعماله؟»

«من الواضح ان ويكهام يعمل بمفرده ولا نية لديه للمشاركة باعماله مع احد ما؟»

ظهرت الحيرة على وجه تيلا ولكن روبي تابع: «الذي يطلبه هذا الصديق لباتريك انه وخلال اقامة ويكهام في ستافرلي يريد شخصاً لمراقبته ان كان ينوي القيام بأي عمل جديد وأين يضع امواله، كل ذلك علينا اخباره لباتريك فوراً.»

قالت تيلا: «الأمر في غاية التعقيد، فأنا لا ادري كيف ستجد شخصاً لا يعرفه ويكهام وبالطبع لن يكون خادماً.»

قاطعها روبن: «بالطبع لا. ولهذا كان اقتراح باتريك والذي وافقت عليه فوراً أن الشخص الوحيد الذي سيحسن التصرف هو... انت.»

«من؟ انا...! ما المطلوب... مني ان افعل؟»

اجاب روبي: «هذا ما اريد اخبارك به، ولكنك لا تتوقفين عن طرح الاسئلة.»

علمت تيلا ان في الأمر سوءاً، فضمت يديها ورفعت رأسها نحو اخيها.

قال ببطء: «لدى السيد كلنت ويكهام ابنة.»

لم تستطع ان تمنع نفسها عن الكلام فقالت: «لم تخبرني... انه كان متزوجاً.»

«انه أرمل. لقد توفيت زوجته منذ اربع سنوات وابنته في السابعة من عمرها.»

ساد صمت بينهما لفترة، ولم تتكلم تيلا فتابع روبي: «من احد اسباب قدومه إلى هذه المنطقة انه سيأتي بصحبة ابنته، وباتريك اخبره انه سيجد لها مربية اطفال.»

اتسعت عينا تيلا، وبصعوبة بالغة اجبرت نفسها على الصمت. تابع قائلاً: «والشخص الذي سيبقى في القصر، يجب ان يكون ذا ثقة بالنسبة لباتريك، ولذلك انت من ستكون مربية اطفال لأبنته.»

حدقت به ثم قالت: «ما الذي تقوله... تريدني ان اكون جاسوسة. الجواب هو طبعاً لا. كيف استطيع ان افعل امراً كهذا؟»

حرك روبي يده بعصبية ثم اتجه نحو النافذة ليحدق في الحقول الواسعة امامه.

قالت تيلا: «آسفة روبي، ولكن انت تعلم انه عمل مشين لن ترضى امي عنه ابداً... وبطبيعة الحال لن انجح في ذلك.»

قال روبي بعد صمت طويل: «حسناً الاتفاق كله ملغى وكل ما ارجوه ان تتمكني من العيش هنا بدون مال.»

قالت معترضة: «لا ليس كذلك... لكن...»

قاطعها قائلاً من غير ان ينظر اليها: «تصوري ان باتريك اعطاني الف جنيه استرليني كمصروف خاص، ولقد انفقت منه خمسمائة جنيه وابقيت لك الباقي.»

قالت وكأنها لا تصدق: «خمسمائة جنيه استرليني!» لم تستطع ان تصدق انها ستحصل على هذا المبلغ كله. علمت ان أول ما يجب عليها فعله أن تدفع رواتب عائلة كوبلن، فهما لم يحصلا على المال منذ اكثر من سنة، كما انها ستشتري بعض العلف الجيد لكنغ فشر، الضعيف ليس بسبب تقدمه في السن ولكن بسبب فقدانه للطعام الجيد.

كانت تعلم ان كوبلن وزوجته يخافان من مجرد التفكير في اندثار القصر، وان ليس هناك مكان يلجآن اليه الا منزل للعمال، كما يعلمان ان ليس هناك مالاً كي يُحالا إلى التقاعد.

قالت لنفسها وكأن هذا المبلغ قد كتب باحرف من النار امام عينيها: خمسمائة جنيه استرليني.

ولو لم يحضر روبي معه العشاء الليلة لكانوا جميعاً باتوا بلا طعام.

نظرت إلى اخيها الذي كان يفكر مثلها، بتغير حالهم مع الخمسمائة جنيه والمال الذي سيتدفق عليهم بعد ذلك. ألفي جنيه كايجار، وبالطبع سيعود للقصر كل الجمال والفخامة التي بني بها.

سترمم الحدائق بطريقة رائعة والأرض الممتدة امام المطبخ ستزرع بكل انواع الخضار، كما ان الحقول ستثمر جميع انواع الفواكه. سيعود كل شيء تماماً كما كان عندما كانت طفلة.

ولكن اذا قالت لا، اذا رفضت ماتراه غير مناسباً لها أو لمركزها من الذي سيهتم للأمر؟

كان روبي لايزال صامتاً يحدق من النافذة، وشعرت تيلا بخيبة امله ويأسه الذي كان يصل اليها كأمواج البحار. احست كانها ستغرق في كل هذا اليأس.

اخيراً، لم يعد بامكانها تحمل الصمت، وبصوت منخفض بالكاد يسمع قالت: «ماذا.. ايضاً... تريدني ان اعمل؟»

التفت نحوها وقال: «هل تعنين ذلك؟ حقاً تعنين ذلك؟»

«سأجعل من الأمر... فوضى لا تحتمل... عندما ستغضب مني!»

قال وهو يسير نحوها: «اذا لم تحسني التصرف، عندها على الاقل نكون قد اعدنا القصر إلى ما كان عليه، وبقي لدينا مال من الايجار، وهذا ما سنتفق عليه ان يدفع لنا كل شهر.»

اقترب منها وقال: «انني آسف تيلا، ولكن صدقيني لم يكن لدي خيار الا الموافقة على عرض باتريك.»

تمتمت قائلة: «الأمر يخيفني!»

اجاب: «اعلم ذلك، ولكنك ستجدين ان الأمر ليس سيئاً. ولكن هناك امر آخر، عليك ان تغيري اسمك.»

«اغير اسمي؟ ماذا تعني؟»

«هذه كانت فكرة باتريك. بما أنك ستساعدينا فمن الخطأ ان يعلم انك اختي.»

«لماذا؟ هل هناك خطأ في ذلك؟»

«لسبب مهم، وهو انني وعدت باتريك ان اصطحب ويكهام إلى كل العائلات المعروفة لينتقي منهم عروساً له.»

«آه... لقد فهمت الآن... فهو لن يجد الأمر ذات قيمة إن كانت اختك تعمل مربية اطفال.»

وافق قائلاً: «بالطبع كذلك، ولهذا ستحصلين على اسم آخر لانك ستكونين مجرد موظفة عنده.»

صمت قليلاً قبل ان يتابع: «ولكنك ستمكثين في القصر، وهكذا ستتعرفين على كل من يدخل ويخرج، وستعرفين معلومات عن مشاريع أو استثمار أو أي أمور كهذه.»

فتحت تيلا فمها لتقول انها لا نية لديها لتقرأ اوراق أو رسائل لا تعنيها لكنها لم تقل شيئاً. شعرت ان مجرد التفكير في الأمر يرعبها، كما انه ليس هناك امكانية السؤال هل تقبل بذلك أم ترفض، فالسؤال الاهم هو البقاء على قيد الحياة.

قال روبي وكأنه يقرأ افكارها: «اذا رفضت الأمر، وانا اعلم كيف تفكرين، أعلمك بأن باتريك قرر ان يجد بيتاً في جنوبي لندن، كما اخبرني ان هناك العديد من البيوت المناسبة لويكهام كهذا البيت.»

تنهدت تيلا فهي تعلم تماماً ان اخاها اعلن الأمر بطريقة واضحة، وهو ان لا خيار لها الا القبول. عليها القبول ولو انها خائفة لما ستتعرض له.

فالأمر كما فكرت سابقاً هو البقاء على قيد الحياة. ليس فقط لأجلها ولكن لعائلة كوبلن وكنغ فشر.

الفصل الثاني

مضى ثلاثة أيام قبل أن يبدأ روبي بالبحث عن عمال وذلك بعد ان قدمت تيلا شروطها، وكان أولها أن دفعت راتب كوبلن وزوجته من المال الذي اعطاها إياه روبي، مما أسعدهما كثيراً. وقررت أنه مهما حصل فانها لن تتخلى عنهما بتاتاً. كما طلبت من وليم ايمرسون أن يحضر عاملاً لتصليح الأكواخ في الحقول، ووضعت جانباً مئة جنيه لأنها كانت تخاف من امور طارئة قد تحدث في المستقبل، ذلك لأنها لم تتأكد كم سيدفع لها روبي من الايجار.

قال لها بفرح ذات ليلة: «سيدفع لك راتباً كمربية اطفال، وهذا ما سيمكنك من شراء ثياب جديدة.»

قالت بدهشة: «ثياب جديدة؟» ضحكت من الفكرة وتابعت: «لا أعتقد أن هناك من يهتم بمربية اطفال ترتدي ثياب مرقعة.»

وافقها روبي قائلاً: «عليك الاهتمام بنفسك ولكن بطريقة لا تلفت نظر ويكهام.»

«بالطبع لا، اذا كان يتوقع التعرف على بنات الدوق.»

قالت لأخيها بينما كان كوبلن يقدم العشاء الشهي لهما: «لدي شرط عليك الموافقة عليه كما وافقت على شروطك يا روبي.»

سألها بحشرية: «ما هو؟»

كانت تعلم أنه يخاف من ان تتخلى عن الأمر كله في اللحظة الأخيرة، قالت: «بما أن السيد ويكهام يرغب بخدم

صغار السن، علينا أن نجد مكاناً مناسباً لكوبلن وزوجته، ولقد علمت أنه لا يوجد اكواخ خالية في القرية.»

سأل روبي بحذر: «اذاً، ماذا تقترحين؟»

«أعتقد بأنهم سيستقرون في داورهاوس، وهكذا اذا رغبت في القدوم والبقاء لعدة أيام، كذلك سيناسبني الأمر في حال صرفت من الخدمة.»

قال بوضوح: «سيكون الأمر كارثة.»

«ربما سيحدث ذلك. على كل حال يجب أن أجد مكاناً اعيش فيه. وهل يوجد افضل من ذلك البيت داورهاوس الذي نعشق؟»

وافق روبي: «انها لفكرة جيدة.»

قالت بثبات: «هذه شروطي لأوافق على طلبات باتريك اوكلي. ومن الخطأ ان نبقي كوبلن هنا ليناديني آنسة اوتيلا، مهما كان الاسم الذي سيختاره لي باتريك.»

«حسناً، انتهى الأمر. افعلي ما تشائين.»

«شكراً لك. بقي أن أنقل بعض الأشياء الخاصة بأمي إلى داورهاوس خصوصاً غرفة الجلوس.»

لم يعلّق روبي على قولها، ولكنها كانت تعلم أنه لن يعترضها في ذلك.

في اليوم التالي ذهبت إلى داورهاوس لترى ما تحتاجه هناك.

كان بيتاً جذاباً بني على عهد الملكة آن، يغطيه القرميد الأحمر وكل نوافذه مزخرفة. لم تكن غرفه واسعة ولكنه يمتاز بسطحه العالي وطلائه الجميل.

وكان الطلاء افضل بكثير مما عليه في ستافرلي.

أما المفروشات فكانت قديمة قدم البيت ذاته، والستائر في حالة مزرية. ولكن النوافذ اصغر بكثير من تلك

الموجودة في القصر. فكرت تيلا في أنها تستطيع أن تستعمل الأجزاء الجيدة من ستائر القصر طالما انها ستتغير بستائر جديدة.

انها بالطبع لا تليق بذوق السيد ويكهام الرفيع. كانت تشعر أنها لن تطيقه مع كل ما قدم لها من مساعدات.

سألت روبي: «لِمَ عليه القدوم إلى بريطانيا ليجد زوجة ذات مستوى اجتماعي عال؟»

اجاب روبي: «حسب ما اخبرني به باتريك ان والدة كلنت ويكهام كانت انكليزية.»

فاجأها الأمر لكنها لم تقل شيئاً، تابع أخاها: «ومن الواضح انه يحب امه كثيراً، ولقد أخبرته قصصاً مهمة عن انكلترا وعن أهلها لم ينسها قط.»

شعرت تيلا أن الأمر يبدو معقولاً، وأكمل روبي: «وعندما أصبح ثرياً قرر أن يبني سلالة حاكمة له شخصياً، وبذلك تصبح عائلة ويكهام محترمة على جانبي المحيط الاطلسي.»

قالت تيلا: اعتقد أنه عجوز، وكل ما يرغب في دنياه أن يكون له ولد.»

ردد روبي: «عجوز؟ لمَ تقولين هذا؟ انه مازال شاباً.»

«أعتقد بسبب نجاح اعماله انه في اواخر الأربعين.»

ضحك روبي وقال: «انه مازال في الثلاثين، فهم يبدأون بالعمل يافعين في أميركا، ومن الواضح انه استلم اعمال والده منذ صغره.»

تساءلت تيلا: «أنا لا أفهم. طالما انه ما زال شاباً، لمَ لا يقع في حب فتاة اميركية ويتزوجها.»

«يستطيع تدبر الأمرين معاً طالما انه ثري. وطبعاً قرر باتريك ان يقدمه إلى أمير ويلز.»

لم تتفاجأ تيلا بسماع الخبر، فلقد اخبرها روبي أن الأمير يسعى إلى التعرف على كل الناس من خلال اجتماعاته في قصر مارلبورغ. وهذا يتضمن كل الذين لا يقبل بهم في القصر الملكي.

وكأن أخاها يتابع افكارها قال: «يفضل حضرته الأغنياء، وبما أن ويكهام غني جداً فسيستقبله بكل ترحاب.»

شعرت تيلا أن الأمر كله يسبب لها الضيق، وعلمت ان سرعة اسراف المال بهذه الطريقة هو من أجل راحة السيد ويكهام. شعرت ان كرهها له يزداد يوماً بعد يوم بدلاً من أن تكون ممتنة له.

كان يزعجها القلق الذي يبديه روبي لترتيب كل الأمور.

وصل باتريك فجأة في زيارة غير متوقعة في عربة انيقة تجرها الخيول، وكان واضحاً أنه لا يملك ثمنها، فهو إما أن يكون قد استأجرها او أن السيد ويكهام هو من يدفع كل التكاليف.

كان يبدو شخصاً ايرلندياً مرحاً. سلم على تيلا بطريقة مليئة بالاحترام. كانت تراقب نظراته التي تهتم بكل ما حدث في البيت. وبالطبع كان روبي قد انجز الكثير. فالعمال يعملون بدون انقطاع من الفجر حتى حلول الظلام.

قال روبرت بفخر: «لقد تم ترميم السقف، وها نحن في صدد ترميم ما تبقى من البناء ولقد استخدمت فنانين لاعادة كل الطلاء إلى سابق عهده.

تقبل باتريك سير الأعمال بفرح وكان سعيداً بما أنجز، ولقد استقدمت تيلا سيدتين من القرية لمساعدة زوجة كوبلن. لم تفعل ذلك رغبة بالاهتمام بنفسها وبروبي، ولكن لأن البيت يعج بالعمال وغالباً ما يطلبون الشراب أو بعض الطعام.

كانت تيلا حذرة جداً في مصروفها خوفاً من اختفاء المال ذات يوم.

بعد العشاء جلسوا معاً في غرفة الجلوس التي لم يبدأ العمل بها بعد.

قال باتريك: «لقد انجزت الكثير يا روبرت، لكن يجب علي تحذيرك. لقد سمعت من بعض الاصدقاء ان ويكهام سيصل قريباً.»

تمتم روبي: «لا يستطيع ذلك.»

قال باتريك: «ان اراد المجيء قبل الموعد المقرر، فلا شيء يمنعه. ما عليك سوى الاستعداد.»

تأفف روبي وقال: «ما زال هناك الكثير لينجز. اننا لم نشترِ المفروشات بعد.»

قال باتريك وهو يبتسم: «انني متأكد من ان شقيقتك تساعدك.»

شعرت أنه يتملق لها. شعرت انه دائم التحديق بها وكأنه يتأكد أنها الشخص المطلوب لتلك المهمة الصعبة. شعرت وكأنها تتجمد عندما تابع قائلاً: «انني متأكد من أن أخاك قد أخبرك يا آنسة ستافرلي، كم هو مهم وجودك لنجاح ما تصبو اليه؟»

لم تجب فتابع باتريك: «اذا لم يقتنع ويكهام بالمنزل او

اي شيء آخر، فسهل عليه ان ينفض يديه من كل ما حوله والذهاب إلى مكان آخر.»

قاطعه روبي: «يجب ألاّ ندعه يرحل، فالمال الذي دفعه كايجار يمكنه من البقاء هنا دائماً.»

كبتت تيلا شهقة من الرعب، فلم تكن تقدر ان تتصور أن هناك شخصاً ما وخاصة اميركي يعيش طوال حياته في قصرها، بالطبع يسعدها انه عاد قصرها إلى ما كان عليه، ولكنها مع ذلك كانت تتمنى عندما ينتهي هذا الأمر سيتمكن روبي من الزواج من فتاة لديها من المال ما يكفي للعيش هنا.

كان دائماً يقول انه لا يرغب بولد او وريث، ولكن مع ذلك كانت تأمل ان يغير رأيه ويعود ليعيش في ستافرلي وينشىء عائلة. وعندها ستعود الأيام إلى ما كانت عليه أيام أبيها وأمها.

لم تكن تفكر قط بنفسها، ما عدا انها كانت تقترح أن تبقى مع كنغ فشر لتصبح عجوزاً. والآن بعد الحديث الدائم عن زواج ويكهام أصبحت تفكر في زواج روبي.

لقد اذهشها دائماً أنها لم تسمعه يتحدث عن الحب مع طول اقامته في لندن. ولكنها كانت مقتنعة من أن هناك امرأة في حياته.

ربما كانت علاقته بها كما علاقة والده بالنساء ولهذا لا يتحدث عنها.

بعد سماع كلام باتريك نظرت إلى أخيها الذي كان يتكلم قائلاً: «علينا ابقاء ويكهام سعيداً يا باتريك، واعلم أن لديك خطة ما لذلك.»

«سنقيم حفلات كبرى عندما يجهز القصر ويصبح

ويكهام هنا. أعتقد بعد كل الذي سمعته انه يفضل أن يفرح الناس بدلاً من ان يفرح نفسه.»

«سيحتاج إلى خيول.»

قال باتريك: «هذا ما كنت أرغب بالحديث عنه، فهناك مزاد للخيل الأسبوع القادم في تاترسل واريدك ان تذهب إلى لندن لتبدأ بالشراء.»

لمعت عينا روبي بالفرح وقال: «يسعدني ذلك، ولكن يصعب علي ترك العمال بمفردهم.»

قال باتريك: «إنني متأكد من ان اختك تعلم تماماً ماذا تفعل وكيف تتصرف.»

قال روبي بسرعة: «اعتقد انك محق.»

قالت تيلا: «سأبذل جهدي، ولكن اذا لم تسر الأمور على ما يرام فلا تلمني.»

نهض باتريك من مكانه، وجلس بالقرب من تيلا وقال: «ارغب في التحدث معك عن دورك في هذه اللعبة.»

نهض روبي ايضاً وقال: «بينما تتحدث معها سأصعد إلى الطابق العلوي لأرى ماذا يفعلون في الشقة الاساسية.»

خرج روبي من الغرفة قبل أن تتمكن تيلا من التفوه بكلمة. وعندما اغلق الباب وراءه شعرت بالخجل والضيق معاً مما ستسمعه من باتريك الذي قال: «اعلم انك ستفعلين كل شيء يطلبه منك أخيك.»

اجابت تيلا: «لقد وافقت. لكنني في الحقيقة خائفة ألاّ انجح في ذلك.»

قال باتريك: «أنا متأكد من انك ستنجحين. لا استطيع التكرار دائماً ان كل شيء معتمد عليك.»

أجابت تيلا: «لا أعلم ماذا تقصد.» نهض من مكانه، وأخذت هي تفكر في انها تشبه فراشة تحوم حول النار.

قال باتريك: «بالطبع تفهمين ان صديقي الاميركي الذي ساعدني للاهتمام بأمور كلنت ويكهام هو شخص ذو سلطة ومتطلب جداً.»

لم تنظر إليه ولكنه كان يعلم انها تصغي إليه جيداً.

تابع الايرلندي: «يريد معلومات دقيقة عن كل امواله، وان لم يحصل عليها يصبح غاضباً جداً وهذا أمر مؤكد لي.»

سألت تيلا: «هل تعتقد... أن بامكانه... تهديدي؟»

أجاب باتريك بسرعة: «لا، بالطبع لا. ولكن الأميركيين ذات مزاج سيء عندما تتعلق الأمور بالمال.»

أجابت تيلا: «ماذا تعني بمزاج سيء؟»

حرك باتريك يديه بعصبية ظاهرة وقال سريعاً: «ليس من مصلحتك الاهتمام بالتفاصيل. كل ما أرجوه منك يا تيلا، وبالطبع لا يمكنني ان أناديك آنسة ستافرلي، أن تجدي أي شيء، أي شيء يجعل صديقي الأميركي سعيداً.»

قالت تيلا: «وان لم أفعل؟ كما أن أسمي اوتيلا.» لم تجد سبباً مقنعاً يجعل من شخص غريب أن يناديها كما كان يناديها والديها واخوها الآن.

صمت باتريك لفترة ثم قال: «عندها بالطبع، يا اوتيلا، سنخسر جميعاً.» شعرت تيلا انه سيغير الموضوع ليتكلم عن أمر مختلف تماماً.

أضاف بسرعة: «ولكني أعلم تماماً، أن هناك أمراً لن تفعليه، ولكن بكل هذا الجمال ستنجحين في أي أمر تتوليه.»

أجابت: «لا أعتقد مطلقاً ان لمظهري أي أهمية. كل الذي

آمله ألاّ يخذلني عقلي.» ضحك باتريك وتابعت: «لم أفكر بالأمر الا الآن، لكن أعتقد أن أمي كانت ستصدم لو علمت أنني سأبقى في القصر مع رجل أعزب بدون من يحافظ علي.»

أجاب باتريك: «هذا صحيح لو كنت ضيفة هنا، ولكن عليك أن تتذكري دائماً أنك موظفة، وكل اهتمام السيد ويكهام بك سينحصر بقدرتك على القيام بتعليم ابنته والاهتمام بها.» رأى القلق مازال واضحاً على وجهها فتابع: «لا أريد ان أبدو قاسياً، ولكن مهما كنت جميلة فلن تناسبي اطلاقاً اختيارات ويكهام، فكل النساء المسموح لهنّ بالاقتراب منه هنّ اما بنات دوق او مركيزة، ولربما أميرة قد تكون المفضلة لديه.»

قالت: «بالطبع. وعلى كل حال لست طالبة زواج، وهذا سيجعل كل شيء أسهل.»

قال: «ليس فقط اسهل ولكن اجتماعياً اصح، وعليك أن تصدقيني أنني خبير في هذا النوع من العلاقات.»

أرادت تيلا أن تجيبه ان لا نية لديها في التورط بهذه الأمور، ولكن عليها تقبل الوضع كما هو.

لاحقاً ذهبت تتجول حول القصر مع روبي وباتريك، وكان عليها الاعتراف بانها سعيدة بانفاق المال كما ترغب. فباحة ستافرلي كانت تبدو اجمل بكثير من أي وقت مضى.

وعندما عادوا إلى القصر كان خياط الستائر بانتظار روبي. نظرت تيلا إلى الحرائر والساتان والمخمل الرائع الذي يحوزته فاعترفت بأن القصر أهم بكثير من كل ما تشعر به.

عندما رجعت إلى غرفتها ليلاً قالت لنفسها ان عليها وعلى روبي أن يكونا شديدا الامتنان لباتريك اوكلي.

فكرت أن ذلك الايرلندي هو أيضاً وقع في مجازفة من جراء عمله ولكنها لم تسأل ان كان عمله خطراً. كان لديها احساس بعدم الراحة ان اخاها قبل بكل هذا من غير أن يحتاط لأي أمر. فلقد قرأت كثيراً عن وول ستريت ان خلال الأزمات كان يتحول إلى ساحة قتال.

إن كان ذلك حقيقة، فهي لا بد أنها تدخل معركة، المال فيها أهم شيء، هي نفسها قد تكون على خط النار. ضحكت عالياً من خيالها الخصب.

مهما حدث، ومهما فعلت إن لم تخبر باتريك، من الذي سيعرف؟ كما أنه من الصعب ان يشك احداً في أن مربية اطفال شابة وغير معروفة قد تتورط في أمور كهذه. كل هذا ومازالت خائفة.

رمى روبي نفسه على الأريكة قائلاً: «أشعر بالتعب كثيراً.»

صرخت به تيلا: «انتبه. لقد انتهينا منها لتونا، وان اتسخت ليس هناك من مجال لتنظيفها.»

كان روبي يعمل في البيت طوال النهار. لم يكن فقط يدير العمال بل كان يقدم لهم العون عندما يحتاجونه.

مرت ثلاثة اسابيع على البدء في العمل، ولكن تيلا شعرت وكأنها ثلاث سنوات. كان باتريك يحضر دوماً ليرى المستجدات ويكتب يومياً لروبي مقترحاً اموراً جديدة. ومعظم اقتراحاته كانت صعبة التحقيق. فقد ارسل قبل يوم يقول:

أعتقد أن الحديقة ستبدو أجمل بوجود نافورة. ولقد شاهدت واحدة رائعة أحضرت حديثاً من فرنسا، وقد تكلفك الف وخمسة مئة جنيه فقط، وأعتقد أنك تستطيع وضعها في مكان تظهر فيه بوضوح من غرفة الاستقبال.

ما ان انهى روبي قراءة الرسالة حتى تأفف قائلاً: «كيف يعتقد باتريك أن لديّ الوقت لبناء نافورة في الحديقة؟ فعلينا سحب المياه من مكان بعيد، إما من البحيرة أو من التلة المواجهة.»

أجابت تيلا: «علينا نسيان اقتراحه هذا.» لم تكن متأكدة أن أخاها سيوافق، فلقد أرسل باتريك لهم الخيل قبل أن يتم إصلاح نصف الاصطبلات. كما أرسل عربة فيها مقعد طويل ولم يكن يوجد غرفة واحدة جاهزة لذلك.

قال روبي: «علي الكتابة لباتريك اليوم، لأخبره أن الغرف الأساسية في القصر قد انتهت. واذا وصل السيد ويكهام عليه المكوث مع وجود العمال في الطابق الأرضي.»

تمتمت تيلا: «لا أدري لماذا باتريك لا يدعوه للبقاء في ضيافة أحد أصدقائه الدوقيين لاعطائنا وقتاً كافياً.»

أجاب روبي: «إذا سألتني، أعتقد باتريك سيبقيه في لندن أطول فترة ممكنة، كما أنه استأجر له قصراً ويريده أن يقابل أشخاص عديدين.»

قالت تيلا: «هذا أجمل شيء قلته، وأعتقد الآن أن القصر أصبح جاهزاً وكل ما علينا فعله هو البحث عن طاقم العمل.»

أجاب روبي: «باتريك سيهتم بالأمر.»

«لم تخبرني بذلك.»

«لقد نسيت، ولكنه اتفق مع رئيس الخدم الذي كان يعمل لدى دوق نيوكاسل. كما أنه وجد طباخاً فرنسياً من أشهر الموجودين في البلاد للاهتمام بكل أمور المطبخ.

«ماذا عن مدبرة المنزل؟»

«لا شك أن باتريك قد اهتم بذلك أيضاً. لا تهتمي للأمر، ولكن فقط اهتمي بأن تكون غرفة الدرس، وغرفتك مريحة.»

ضحكت تيلا وقالت: «لقد فعلت ذلك، وغرفتي جميلة جداً. عليك الصعود لرؤيتها. يسعدني أن أعيش في هذه الغرف التي كانت مسرحاً لسعادتنا عندما كنا صغاراً.»

رقّ صوتها عندما قالت: «احدى اجمل ذكرياتي عندما امتطيت أنت روكنغ هورس ورغبت أن أفعل مثلك.»

«عليك التأكد أن السيد ويكهام يسمح لك بالركوب على الخيل، خاصة عندما يكون غائباً، فالذي امتطيته في الصباح كان سريعاً جداً.»

مهما كان لديه من أعمال، فقد كان روبي ينهض باكراً ليمتطي الحصان ساعة قبل الفطور.

فكرت تيلا بأن مناخ الريف والنوم باكراً جعلا أخيها يبدو أفضل مما كانت تراه دائماً وبالطبع أجمل، فعندما اتى من لندن كان يبدو عليه الشحوب والتعب. كانت تعلم أن السهر والعبث امران سيئان له. أما الآن فيبدو رجلاً مختلفاً.

فكرت أنها تستطيع أن ترى الأمر كذلك بالنسبة لكنغ قشر. فقد كانت محقة عندما فكرت انه يبدو هرماً بسبب سوء التغذية.

قال روبي: «نقل الأثاث من مكانه جعلني أبدو وسخاً. علي الاستحمام.»

سألته تيلا: «هل سخان المياه يعمل؟»

«المياه بالكاد ساخنة، ولكن يكفي أنها تنزل من الحنفية حتى لا أتذمر.» خرج من الغرفة قبل أن يسمع رد أخته وكانت تقول كم هو غريب التذمر من عدم وجود مياه ساخنة في البيت، فمنذ سنوات وهي مجبرة على الاستحمام بمياه باردة.

عندما وصلت إلى غرفتها تذكرت أن هناك ثوباً جديداً لها معلق في الخزانة كان قد وصل للتو من عند الخياطة في القرية.

كانت قد اشترت بعض القماش الرخيص من البائع المتجول، وطلبت منه أن يحضر لها قماش أغلى ثمناً. كان رجلاً خدوماً يهتم بكل الطلبات في القرى المجاورة.

أحضر لها بعض القماش من الحرير الأزرق والدانتيل الأبيض. شكرته تيلا وأخذت القماش إلى خياطة القرية، أعطتها صورة قطعتها من احدى المجلات لتريها تماماً الطراز الذي اختارته. ولقد أتقنت السيدة سندرز عملها.

كان باستطاعة تيلا صنعه بنفسها لكن روبي يحتاج إليها كل دقيقة من النهار فلم يكن يثق برأيه في اختيار ألوان الجدران، ولا نوع القماش للستائر.

اختارا معاً تنسيق المفروشات في كل الغرف. كما أنهما اختارا كل الحاجيات بأسعار معقولة.

قالت: «على السيد ويكهام أن يشكرنا لأننا لا ننفق الكثير.» نظر إليها روبي نظرة طويلة ولأنها تعرفه جيداً أضافت: «هل يأخذ منه باتريك أكثر مما ننفق؟»

«بالطبع، فهو سيحصل على حصته من هذا العمل.»

تنهدت تيلا وقالت: «لم يكن لدي فكرة أنه سيجني أرباحاً من المفروشات أيضاً.»

قال روبي: «يعتبر أن له الحق في الربح من كل شيء، وكل شيء هي الكلمة الصحيحة، لأنه هو من قام بهذا الاتفاق ورتب كل الأمور.»

وافقت تيلا: «هذا صحيح. ولكن في نفس الوقت، يبدو الأمر معقداً كطريقة للعيش.»

قال روبي: «لا أحد يعلم بذلك أكثر مني، ولكن بين العيش فقيراً أو غنياً بهذه الطريقة، أفضل بكثير من أن أكون غنياً.»

ابتسمت تيلا وقالت: «بالطبع. ولكن هناك أمور مهمة على السيد النبيل ألاّ يقوم بها.»

قال بحدة: «هذا يعتمد ان كنت رجلاً نبيلاً مع جيوب خاوية وذوق مترف.»

ساد الصمت لفترة قبل أن تسأل: «هل... قمت... بنوع من هذا العمل... بنفسك؟»

أجاب بخشونة: «بالطبع. اذا طلب أحد مني أن أشتري له حصاناً فاعتقد انه من الأفضل اضافة هذا المبلغ على سعر الحصان بدلاً من طلبه منه مباشرة.»

قالت بتردد: «اعتقد... أنني أفهم.» فكرت أن أخيها لم يكن ليفعل شيئاً كهذا لو لم يتعرف على باتريك اوكلي.

كان ينتابها شعور غامض أنها وأخيها يغرقان في رمال متحركة. لكان الأمر مختلفاً لو كانت أمها على قيد الحياة. عندها كان العالم سيبدو أجمل وأكثر راحة حيث ستبقى الشمس دائماً بدون غيوم.

قالت لنفسها: انني أطلب الكثير. وفي نفس الوقت كانت تخاف من المستقبل.

الفصل الثالث

دخلت تيلا غرفة الدرس ونظرت من النافذة إلى الباحة، وكل شخص في القصر، كانت تشعر بالتوتر بسبب وصول السيد ويكهام اليوم.

كان عملاً صائباً انه امضى الليل في لندن قبل الوصول إلى ستافرلي.

ذهب روبي لملاقاته وكانت كلمات تيلا الأخيرة له: «ابقه بعيداً من هنا قدر ما تستطيع.»

اجاب روبي: «اشك ان أي شيء سأقوله سيكون له ادنى تأثير به.»

شعرت تيلا انها الكلمة المناسبة لوصفه. فلقد كانت تشعر بامتعاض يوماً بعد يوم وهي تعمل جاهدة لترميم القصر.

انه امر رائع ان تراه يتغير هكذا تحت اشرافها. لقد اصبح القصر الجميل الذي كانت تحلم به منذ كانت طفلة. ولكن في الوقت نفسه، كان يزعجها ان روبي يعمل بكل قواه لجعله جاهزاً ولكن ليس لنفسه بل للاميركي الغريب.

كانت متأكدة تماماً ان السيد ويكهام سيكون وقحاً ولا يقدر الاشياء حق قدرها اطلاقاً.

لما يرغب ان يكون كل شيء انكليزي، وجزءاً من التاريخ؟

قالت في نفسها: عليه ان يكون ممتناً، فهو بالتأكيد سيقارن بين وضعه هنا وبلاده الاصلية تكساس.

رغم هذا كانت تعلم انها عندما رأت الستائر والسجاد الذي ارسلها باتريك من لندن كانت ستشدو من الفرح.

كانت ستافرلي رائعة وجميلة جداً ومميزة كما كان يريدها جدها دائماً. لقد انفق جدها عليها ثروة ولكنها ليست بذات قيمة، مقارنة لما ينفقه السيد ويكهام الآن.

في البداية كان روبي متردداً في شراء حاجات يراها باهظة الثمن، ولكن عندما قالت له انه يتصرف بغباء، اخذ ينفق بلا حدود، كما ان كل شيء اختاراه كان يبدو تماماً كانه صنع لهذه الغرف.

الان بعد كل هذا، اللحظة الحاسمة قد حانت. فلقد ارسل لها روبي منذ ثلاثة ايام انه وباتريك سيحضران السيد ويكهام وابنته نهار الاربعاء.

حدقت تيلا بالرسالة غير مصدقة، كانت تعتقد وتأمل من كل قلبها ان السيد ويكهام في اللحظة الاخيرة سيبدل رأيه ويعدو إلى اميركا.

كان أمراً غير محبباً، ولكن هذه الأمور تحدث دائماً.

قبل وصول طاقم الخدم الجديد انتقلت هي وكوبلن وزوجته إلى داورهاوس، وبالطبع كنغ فشر ايضاً. كان المنزل يبدو مرتباً جداً بالمفروشات التي احضرتها من القصر.

لم تفرح قط بتركه والعودة إلى ستافرلي كموظفة. وكان يصعب عليها شرح الأمر لكوبلن وزوجته بألا يخبرا احداً بوجودها وانهت كلامها بالقول: «هذا يعني انني سوف اقبض راتباً يمكننا من العيش بأمان. سيصلكما كل شهر مبلغاً من المال، وكذلك الطعام المناسب، لأن السيد روبرت هيأ لي وظيفة مربية لطفلة صغيرة.»

سألها كوبلن بدهشة: «هل هذا يعني يا آنسة أوتيلا انك لن تعيشي معنا هنا؟»

اجابت تيلا: «ليس عندما يكون السيد ويكهام في انكلترا. ولأنه يملك الكثير من الاعمال في اميركا، لا اظن انه سيمكث هنا طويلاً.»

بدا الأمر مقنعاً لهما ولكنهما تمتما بأن الأمور لن تكون حسنة من دونها.

تركت داورهاوس صباحاً، واعادت عليهما تكراراً، وهي تودعهما، ان عليهما ان لا يذكرا اسمها بتاتاً.

قال كوبلن: «حتى اهل القرية سيرون الأمر غريباً حين تعملين في القصر، آنسة اوتيلا.»

اجابت تيلا: «لن يعلم احد انني هناك، لسبب بسيط جداً. لقد غيرت اسمي.»

حدقا بها بغرابة: «غيرت اسمك، آنسة اوتيلا؟ لمَ فعلت ذلك؟»

«يرى السيد روبرت أن الأمر يبدو محرجاً اذا علم المستأجر انني اختيه.»

«هناك بعض الحساسية في الأمر، بعدما جعلته رائعاً هكذا.»

شعرت تيلا انه من الصعب التفوه بغير هذا الكلام لوصف جمال ستافرلي، ولكن الذي يهمها الآن ان كوبلن وزوجته وافقا على ابقاء امرها سراً.

كان روبي قد ارسل لها عربة من سانت البانز لنقلها من داورهاوس.

كانت جاهزة تماماً مع حقائبها عندما وصلت العربة.

كانت تبدو انكليزية تماماً وكما تبدو مربيات الاطفال.

عندما اوصلها السائق دفعت له بعض المال، ولم يكن لديه فرصة للتكلم مع رئيس الخدم الذي استقبلها عند الباب قائلاً: «كنت انتظر قدومك يا آنسة ستيفنز، اتمنى ان تكوني قد استمتعت بالرحلة.»

اجابت تيلا: «نعم كثيراً، شكراً لك.»

سار الخادم امامها إلى الطابق العلوي الذي فرشته بعناية، بينما كانت هي تتبعه وتفكر كم تكره اسم ستيفنز الذي اختاره باتريك لها.

سألت بامتعاض: «لماذا ستيفنز؟ اعتقد هذا الاسم مخيفاً!»

اجاب باتريك: «لقد اخترته بعناية وأرى انه اسم جميل.»

اجابت تيلا: «لا، ليس كذلك. كما انني ارغب باسم جذاب.»

قال باتريك: «فات الاوان، لقد ارسلت لصديقي كي يخبر السيد ويكهام انني تعاقدت مع المربية المناسبة لابنته.»

شعرت تيلا انه يتلاعب بمصيرها كما يشاء، وادركت ان اخاها قلقاً وخائفاً، وهو يريدها ان تقبل بكل الأمور بدون جدال.

وفي ذات الوقت، كانت تفكر ان ابنة السيد ويكهام قد تكون مدللة وصعبة المراس. ومن الواضح ان لديها عملاً يصعب عليها القيام به.

والآن وهي تنظر من النافذة، ترى السائق يتجه بعيداً تحت اشجار السنديان.

لن يمضي وقت طويل حتى تصل العربات من لندن. مازالت تعتقد ان السيد ويكهام عجوزاً رغم ما أبلغها به روبي. فهي لم تصدق قط انه انسان مميز، فكيف سيحصل

على كل هذا المال لو لم يكن عجوزاً، ليس فقط بتفكيره، بل ايضاً بشكله.

قالت لنفسها بسخرية: لا يوجد شاب يرضى بالزواج من امرأة من اجل اسمها وعائلتها، أو من اجل بناء سلالة حاكمة من صلبه. لم تسمع بأمر مضحك أكثر من هذا قبلاً.

عندها قررت ان عليها توضيب ثيابها في الغرفة. يجب ان تكون جاهزة تماماً لتلميذتها عندما تصل.

كانت غرفة الدرس واسعة. كانت قد اختارت لها أمها غرفتا نوم، واحدة لها والثانية لمربيتها، وأمامها مباشرة كانت غرفة اخيها روبي التي تطل مباشرة على الحديقة. غرفته كانت تصلها الشمس طوال بعد الظهر بينما في تلك الغرفة لم تكن ترى الشمس الا صباحاً.

شعرت تيلا بالفرح لأنها ستنام في غرفة كانت لها في ايام طفولتها. ولكنها ادركت انها ستسعد اكثر لو كانت غرفتها تشرف على الحديقة التي تغيرت الان بشكل مذهل.

فلقد استخدم روبي ثمانية بستانيين. ولقد عملوا جاهدين كباقي العمال لجعل الحديقة رائعة. المروج اصبحت ناعمة كالمخمل واحواض الزهور غنية بالألوان.

مع كل اعتراضات روبي بشأن النافورة فلقد تم تركيبها. واكثر ما كان يزعجها ان الاشجار التي كانت كالسور قد تم قطعها، فلقد كانت لفترة مثلاً رائعاً لتجذيب الاشجار، وكانت تضفي على الحديقة جمالاً، كانت تعشقه وهي صغيرة.

ورأت أيضاً من غرفة نومها، شلال ينحدر من تلال بعيدة في الغابات نحو البركة الواسعة. والاحواض الصخرية حول الحديقة زرعت بنباتات غريبة مزهرة.

نظرت إلى كل هذه الاشياء بسرعة من غرفة نومها عندما صعدت إلى الطابق العلوي.

حين خرجت من غرفة الدرس عبر الممر، كانت هناك مفاجأة غير متوقعة لها، ان ترى خادمة تضع ثيابها في خزانة الملابس.

قالت تيلا: «آه، انت تفعلين ذلك من اجلي. هذا لطف منك.»

اجابت الفتاة: «طلبت مني مديرة المنزل ان اخدمك، يا انستي، وان اهتم ايضاً بالآنسة الصغيرة عندما تصل.»

سألت تيلا: «ما هو اسمك؟»

«اميلي، يا آنستي. وانني سعيدة جداً لأن اكون في خدمتك.»

كانت تتكلم بحماس مما دفع تيلا للابتسام وقالت: «اتمنى ان نسعد جميعاً مع بعضنا البعض.»

قالت اميلي: «انه لمن المستغرب ان اعمل لدى سيد اميركي. هل تظنين ان سيكون لديه ريش على رأسه، ويقوم برقصات غريبة كما كانوا يخبرونني عندما كنت في المدرسة؟»

ضحكت تيلا وقالت: «انك تفكرين بالهنود الحمر وهم سكان اميركا الاصليين، ولكنهم ليسوا الاميركيون الآن. فالسيد ويكهام بدون شك لن يكون لا اكثر ولا اقل من اي سيد انكليزي.»

بدت خيبة الأمل واضحة على وجه اميلي وقالت: «كنت ارغب برؤية شخص لديه ريش على رأسه.»

شعرت تيلا بالرغبة في الضحك، ولكن في الوقت نفسه، كانت تعلم انها تظن ان السيد ويكهام قد يكون مزعجاً ومخيفاً اكثر من شيخ قبيلة للهنود الحمر.

لكن هذا ما لا تستطيع قوله علانية.

افرغت اميلي كل ما في حقيبة تيلا، كانت تيلا قد وجدت ان لديها المزيد من الوقت فأمرت بحياكة العديد من الفساتين لها لتبديلها اكثر من عدة مرات في النهار.

كما خاطت لها ثوبين رائعين للسهرة. لم يكن هناك أمل في أن يراهما احد طالما ستعيش بمفردها في غرفة الدرس. ولكن كان سيزعج امها كثيراً انها لن تغير ثيابها للعشاء. هذا ما كانت تفعله دائماً عندما كان والديها على قيد الحياة.

كما انها ستأخذ حماماً كل يوم في الغرفة التي استعملها روبي في شقة الاطفال. والتي كانت غرفة نوم صغيرة للخادمة التي تعمل في هذا القسم. من الصعب التعرف عليها الآن بعد ان أضيف لها مغطس جديد وغطت الجدران بالاوراق الملونة الجميلة، ولدهشتها كانت الأرض مغطاة بالسجاد.

سألت أخيها: «لماذا السجاد؟ بالطبع سيمتلىء ماءً.»

«اخبرني باتريك انه عندما كان يقيم في اميركا عند عائلة فاندربلتز ان هناك سجاد في الحمام، لذلك فقد كان متأكداً ان السيد ويكهام يرغب في ذلك ايضاً هنا.»

اصبح السجاد يغطي كل ارجاء البيت، وكل ما كانت تتمناه لو ان والدها رأى البيت على ما هو عليه الآن، فلا شك انه كان قد فرح كثيراً.

اخذت تفكر، انه عندما يعود السيد ويكهام إلى اميركا ستعود لتعيش في ستافرلي هي واخوها.

لكنهما كانا بحاجة إلى الكثير من المال للانفاق عليه كي لا يعود إلى حالته السابقة منذ شهرين.

حاولت ألاّ تفكر في المستقبل، فقط ان تعيش الحاضر السعيد.

انهت اميلي توضيب الاغراض، وأخبرتها انها ستحضر لها الشاي عند الساعة الرابعة، واضافت: «اذا اردت شيئاً، فقط اعلميني، وانا سأحضره لك من السيدة دنفر.»

سألت ثيلا: «هل السيدة دنفر هي مدبرة المنزل؟» كانت تعلم الجواب لكن فكرت انها قد تخطىء ان لم تبدو كأنها تجهل الأمر.

«نعم، يا انستي، وهي لطيفة جداً.»

ابتسمت ثيلا وشعرت ان كل شيء جديد ومشوق بالنسبة إلى اميلي. وفرحت ان هناك شابة نشيطة ومحبة تقوم برعايتها. نظرت خارجاً لفترة طويلة قبل ان تتنقل في غرفة الدرس.

ما ان وصلت إلى النافذة حتى لمحت عربة قادمة كان يرافقها اثنان من الخيالة وعدة عربات أخرى.

وصول كلنت ويكهام كان في غاية الروعة، قطعت العربة الجسر فوق البحيرة ووصلت إلى المنحدر الذي يقود مباشرة إلى باحة القصر.

علمت ثيلا ان السجاد الاحمر قد مد على الدرج الامامي. كما ان اربع أو ستة من الخدم سيكونون في الانتظار.

سيقف رئيس الخدم على مدخل الباب ومعه اثنين اخرين، ووراءه كل شيء يبدو كمهرجان مسرحي.

كل ما كانت تأمله ان يقدر كلنت ويكهام كل هذا العمل لأنه اميركي.

* * *

ما ان مرت العربة فوق الجسر حتى اخذ روبي ينظر من النافذة.

رأى أولاً نضارة العشب الأخضر في المرجة الامامية والسجاد الاحمر على الدرج.

التفت إلى السيد ويكهام الذي كان يجلس بجانبه. وقال: «لقد طلبت من الخدم ان ينتظروك في القاعة لاداء التحية. كما انك تعلم انني ساقدمهم لك.»

اجاب كلنت ويكهام: «نعم، طبعاً. لقد اخبرني باتريك انه اختار خدماً كانوا يعملون في افضل البيوت في انكلترا.»

كان يتحدث اللغة الانكليزية بلهجة رائعة، فقط بعض الكلمات القليلة كانت تبدو ذات لهجة اميركية.

كان باتريك يجلس قبالتهم ويبتسم وهو يقول: «لقد اوليت الأمر كل عناية في التأكد بانك ستجد من يهتم بك بطريقة صحيحة. وليس هناك افضل من عناية الخدم في انكلترا في العالم كله.»

اجاب كلنت ويكهام: «هذا ما كنت اسمعه دوماً.»

وقفت العربة واقترب خادم يرتدي ثياب خاصة بستافرلي ثم فتح الباب.

خرج السيد ويكهام أولاً، ثم تبعاه روبي وباتريك. وصل إلى القصر حيث كان بيرتون، رئيس الخدم، منتظراً.

قال: «طاب يومك، سيدي. هل استطيع ان أرحب بك في قصر ستافرلي باسم الخدم؟»

قال كلنت ويكهام: «شكراً لك.»

عندها باتريك، ولأنه هو من تعاقد مع الخدم، قدم بيرتون له وستة من الخدم والسيدة دنفر التي كان يبدو ان لديها جيشا من الخادمات وراءها.

بعدها قدم الطاهي وحاشيته المميزة واخيراً السيد

ترنت، الذي كان الشخص الوحيد الذي اختاره روبي.

قال باتريك: «عليك ان تفهمه انه سيهتم بالمزرعة وبالبساتين. وعليه ان يفهم تماماً ان أي شيء يريد ان يقوم به عليه ان يعرضه علي قبل ان يتكلم مع السيد ويكهام.»

كان روبي يعلم ان كل هذا يعنيه بامر واحد ان على السكرتير ألا يسأله كيف تجري الأمور امام السيد ويكهام.

سلم السيد ويكهام على رئيس الخدم وأومأ برأسه إلى الآخرين. عندها انتقل مع روبي إلى الغرف في الطابق الأول.

كانت غرفة الاستقبال تبدو جميلة ومزدانة بالزهور على كل طاولة، كما كانت الشمس ترسل اشعتها الذهبية من خلال النوافذ.

كانت النافورة التي سببت لروبي الصداع تبدو بوضوح من هذه الغرفة. ولم يعترض كلنت ويكهام على أي أمر.

انتقلوا من غرفة الاستقبال إلى غرفة المكتب التي كان فرشها قد غير تماماً، وزينت الجدران بلوحات اشتراها باتريك من سويت باي.

قال روبي بينما كان ويكهام يلتفت حوله: «هذه الغرفة كان والدي يستعملها كمكتب، ستجدها مريحة. ولقد جعلت الأمر واضحاً انه عندما تكون هنا فذلك يعني انك لا ترغب باستقبال الزوار.»

قال ويكهام: «هل تعتقد انه سيكون لي زوار كثر؟»

أجاب باتريك قبل ان يتحدث روبي: «كل شخص في المنطقة سيرغب في التعرف إليك حباً بالفضول. وبالطبع

عندما يكون لديك مناسبة ما فقد ترغب في مكان تجلس به بمفردك.»

لم يجب كلنت ويكهام.

انتقلوا إلى الغرف الاخرى حتى وصلوا إلى المكتبة الرائعة، التي كانت ستائرها حمراء وسجادتها ايرانية الصنع وقد أضيف إليها مجلدات جديدة تلمع بعكس تلك التي كانت تبدو مهترئة.

قال كلنت ويكهام: «سمعت، يا ستافرلي، ان لديك الطبعة الاصلية لشكسبير، وكذلك معظم الكتب القديمة.»

اجاب روبي: «نعم، هذا صحيح. وهناك مجلد خاص بهم ولكن اخشى ان تكون المطبوعات الجديدة غير موجودة.»

قال كلنت ويكهام: «يسعدني جداً ان أرى هذا المجلد.»

قدم روبي المجلد له وحمله عندما خرجوا من المكتبة وذهبوا إلى غرفة أخرى.

عادوا جميعاً إلى غرفة الاستقبال وكان الشاي في انتظارهم عندها نظر إلى ساعته وقال: «لقد ظننت ان ماري ـ لي ستكون هنا الآن. لقد قلت لي، انها ستصل في الرابعة والنصف.»

قال باتريك بسرعة وكأن السيد ويكهام وجد له خطأ: «اجل بالطبع. ولكن آمل ان لا يجدوا صعوبة في معرفة الطريق.» وتابع: «اؤكد لك انك تستطيع الوثوق في المدرب، كما ان ابنتك سيخيب املها ان فاتها الغداء الذي اقيم خصيصاً من اجلها.»

علت ابتسامة سخرية على وجه روبي مما سمعه. كان

يعلم ان باتريك قد قام بجهود صعبة لاقناع دوقة ورمنستر بالقيام بهذا الغداء من اجل ماري ـ لي.

ذلك ان ابنتها لها نفس عمر ابنة ويكهام. ولا داع للقول ان لديها أخرى في الثامنة عشرة من عمرها.

قدمت السيدة لتيتيا للسيد ويكهام منذ وصوله إلى لندن.

كان باتريك واثقاً انها ستعجبه وعندها سيكون الأمر مضيعة للوقت لتعريفه على فتيات غيرها. لقد كانت جميلة جداً ولكنه لم يبد نحوها اي حماس.

قررت الدوقة وكي تكسب رضاه ان تركز على معاملتها لابنته، فأقامت لها حفلة مع اطفال من عمرها.

وبسبب اضطرارها للذهاب إلى الريف اقيمت الحفلة قبل الغداء وكان هناك مسرحية للاطفال ومهرج ايضاً يقوم بألعاب بهلوانية.

كان هناك هدية لكل طفل في صحنه في غرفة الطعام.

فكر روبي ان باتريك عندما قرر القيام بكل هذا كان يمني نفسه بالشكر على صنيعه.

قال باتريك وهو يخرج من غرفة الاستقبال: «سأذهب لأرى ان كان هناك أي مؤشر لقرب وصولها.»

قال ويكهام عندما اصبح مع روبي بمفردهما: «لديك بيت جميل جداً من دون شك.»

اجاب روبي: «انني ممتن لك كثيراً لاعادة ترميمه إلى ما كان عليه عندما بني للمرة الأولى.» وضحك قبل ان يضيف: «لكن هذا مع اضافة عشر غرف حمام التي كانت ستجعل شعر جدي يقف من الغضب.»

سأل كلنت ويكهام: «فقط عشرة. كنت اعتقد اننا نحتاج لأكثر من هذا.»

قال روبي بسرعة: «باستطاعتنا اضافة ما تحتاجه. واؤكد لك اننا كنا نعمل بسرعة البرق لتحقيق كل هذا.»

قال كلنت ويكهام وكأنه لم يسمع ما قال روبي: «غداً يجب ان تريني كل المنطقة.»

وافق روبي: «بالطبع سافعل، واعتقد انك قد تبني ميدان خيل صغير هنا. لقد وجدتك مهتماً للأمر عندما تحدثت مع السيد برنهام، كما انه يوجد حقل صغير قرب المنزل. لا شك ان جيادك ستفرح بها.»

قال السيد ويكهام: «اخبرني باتريك انك احضرت بعض الجياد الاصيلة. ارغب في ان اراهم.»

اجاب روبي: «شخصياً، اراهم رائعين، ولكن اخاف ان اكون متحيزاً.» صمت لحظة وكأنه تذكر فجأة أمراً هاماً فأضاف: «آه، بالمناسبة. مربية الاطفال التي احضرتها مع باتريك لتعليم ابنتك تجيد ركوب الخيل بمهارة. ظننت أن هذا يسعدك وبذلك ترافق ماري ـ لي عندما ترغب بركوب الخيل.»

لم يكن هناك وقت للسيد ويكهام كي يجيب فلقد فتح الباب وقال باتريك: «ها هي قد وصلت.»

تقدم كلينت ويكهام من الباب عدة خطوات عندما دخلت فتاة تركض وهي تصرخ: «بابا، بابا. لقد وصلت.»

مدت يديها فحملها ويكهام وأخذ يؤرجحها قال: «لقد قلقت عليك خوفاً من ان تكوني قد أضعت الطريق.»

«لقد اتينا بسرعة قصوى!»

«هل استمتعت في الحفلة؟»

اجابت ماري ـ لي: «في الحقيقة لا. كان الاطفال مملين ولم يكن المهرج مسلياً كالذي احضرته لي في حفلة نيويورك.»

ضحك ويكهام وقال: «مازلت صغيرة جداً لتصبحي ناقدة.» وضعها على الارض فرفعت رأسها اليه وسألت: «ما معنى ناقدة؟»

اجاب والدها: «شخص يجد الاخطاء دائماً.»

«لقد فعلت تماماً ما طلبته مني، لم اقل سوى شكراً لكم.»

«هذه هي ابنتي. والآن تعالي واشربي الشاي. شاي انكليزي مع قطع من الحلوى.»

نزعت ماري ـ لي قبعتها ورمتها على احدى الكراسي قبل ان تذوق الحلوى الموجودة على الطاولة.

دخل باتريك إلى الغرفة وقال: «لقد تدبرت امر الخادمة التي احضرت ماري ـ لي، فلقد طلبت ان تشرب الشاي في غرفة مدبرة المنزل وعندها تعود إلى لندن.»

نظر كلنت ويكهام إلى ابنته وقال: «هل شكرت السيدة التي احضرتك إلى هنا؟»

اعترفت ماري ـ لي: «ليس كثيراً، فهي مزعجة ولم تخبرني اي قصة عن كل الاماكن التي مررنا بها كما تفعل أنت.»

اعترض كلنت ويكهام وقال: «ليس عليك التوقع من أي شخص تقابلينه ان يخبرك قصة!»

قال باتريك: «وبالطبع ليس من الانكليزين، فليس لديهم خيال.» وابتسم قبل ان يتابع: «فهم لا يشبهون الايرلنديين.»

قال روبي: «لكنهم يتكلمون كثيراً، واذا كان السيد ويكهام يرغب ان تكون ابنته سعيدة عليه ان يحذرها من الالسن الناعمة.»

لم تكن ماري ـ لي تصغي لكل هذا الكلام. فقد كانت تأكل قطع البسكويت بالشوكولا.

عندما انتهوا من شرب الشاي قال كلنت ويكهام لابنته: «اعتقد، يا سيدتي الصغيرة، انه علينا الذهاب لرؤية مربيتك. كما سنرى اذا كانت غرفتك جميلة ومريحة كما اتوقع.»

نظر إلى روبي قبل أن يضيف: «لقد علمت دائماً ان الاطفال في انكلترا يبقون بعيدين عن الانظار، وبذلك لا احد يراهم أو يسمع بهم.»

قال روبي: «هذا بالطبع غير صحيح. ولكن تعال وانظر بنفسك.»

ساروا نحو الدرج الجميل المنقوش. كانت ماري ـ لي تمسك يد والدها وتتحدث عن رحلتها في لندن وقالت: «هناك الكثير من الخراف الصغيرة في الحقول، ولكن كنا نتطلق بسرعة وبذلك لم اتمكن من رؤيتهم بوضوح.»

قال روبي: «سترين الكثير من الخراف الصغيرة هنا.» فبالمال الذي اعطاها للمزارعين مكنهم من زيادة القطيع. ولقد كانوا ممتنين جداً.

عندما وصلوا إلى غرفة الدرس، كان روبي يأمل ان تكون ثيلا بانتظارهم وهذا ما حصل بالفعل. كانت تقف في وسط الغرفة مرتدية فستاناً ازرق وله ياقة واكمام بيضاء. فلقد كانت ترغب ان تبدو صارمة.

لكن بدت انها تتظاهر بذلك لنعومة وجهها الصغير وعيناها الآسرتان بلونهما الأزرق، لم تكونا باهتتين كالسماء الزرقاء في الصيف بل انهما كانتا اقرب لهيجان البحر.

بدا شعرها الأشقر كأشعة الشمس المشرقة، مع انها عقدته إلى الوراء ومع ذلك لم تخفى الخصل الصغيرة المتدلية على جبهتها.

نظرت إلى كلنت ويكهام بدهشة عندما دخل إلى الغرفة، فلم يكن كما كانت توقعته على الاطلاق، وهذا ما كان يفكر به بالضبط.

كانت تيلا مختلفة تماماً عن اوصاف مربيات الاطفال الانكليزيات الذي كان يسمع عنهن. فلقد كان يتوقع امرأة غير جذابة في منتصف العمر وليست لها شخصية مميزة.

عوضاً عن ذلك، وجد فتاة شابة لطيفة، ان لم يقل جميلة، وهي تنظر اليه بدهشة. كما كان هناك نوعاً من الخوف في عينيها.

كان كلنت ويكهام ثاقب الادراك، فلقد تعلم في مدرسة الحياة الصعبة التي تحكم على الناس بأفعالها لا بأقوالها.

بينما كان يقترب منها وهو يحدق بها سمع روبي يقول: «هذه هي آنسة ستيفنز، التي لديها القدرة على تعليم ابنتك ثقافة جيدة، كما ستعلمها ان تحب العيش في حياتنا الريفية.»

قال كلنت ويكهام وهو يمد يده لمصافحتها: «هذا ما اريده بالضبط.» وعندما صافحها شعرت تيلا باحساس غريب، لم تشعر به من قبل.

والذي ادهشها ايضاً انه جميل الشكل، وهذا ما لم تتوقعه، ولأنه من تكساس كان اطول من روبي وباتريك أيضاً. وفي الحقيقة، كان يبدو كالبرج امامها ومسيطراً على الغرفة باكملها.

ولأول مرة منذ سمعت عنه، فهمت الآن لماذا لا يتحدث باتريك عنه الا باحترام.

قال كلنت ويكهام وهو يترك يدها: «هذه ابنتي ماري ـ لي.» امسكت تيلا بيد الطفلة التي قالت: «يقول ابي انك ستعلمينني لاصبح انكليزية، ولكن انا اميركية، ولا اريد ان اكون غير ذلك!»

قالت تيلا: «هذا صحيح حقاً. بالطبع انت فخورة ببلادك كافتخاري ببلدي، ونحن معاً، سنعمل للأفضل.»

ضحكت ماري ـ لي وقالت: «اهذا درس؟»

قالت تيلا: «سنضع قائمة بافضل الأمور التي نعرفها، عندها سنعرضها على والدك وهو سيحكم من يربح.»

قالت ماري ـ لي: «عندها سيعطينا جائزة، انها فكرة جيدة.» نظرت حولها وتابعت: «انها غرفة جميلة. ابي، تعجبني الستائر الزهرية اللون والأريكة الكبيرة المريحة.»

قال كلنت ويكهام: «هذه نقطة جيدة لصالح انكلترا.»

اضافت ماري ـ لي بسرعة: «لكنها ليست كبيرة كغرفتي هناك.»

اجابت تيلا: «اذاً هذه نقطة لصالح اميركا.»

صاحت الفتاة صيحة ابتهاج: «احب هذه اللعبة. سأفكر في امور كثيرة، وانت ستعطيني جائزة كبيرة، كبيرة جداً.»

نظر كلنت إلى تيلا، وشعرت انها فازت بالامتحان ولو عن غير قصد.

قال: «ساترك ماري ـ لي معك الآن. قد نتحدث لاحقاً الليلة، أو غداً.»

اجابت تيلا: «شكراً لك.»

علمت انه خلال ذلك الحديث كان روبي يراقب بقلق. وعندما اتجه كلنت ويكهام نحو الباب ابتسمت تيلا لأخيها لكي تخفف من توتره.

كانت ترغب في ان تغمزه ولكن فكرت ان ماري ـ لي ذكية ما يكفي حتى تشعر بذلك.

كانت تيلا فقدت حماسها لو سمعت النقاش الذي دار بين كلنت ويكهام وروبي وهما ينزلان الدرج، قال كلنت ويكهام: «تبدو الآنسة ستيفنز شابة جداً.»

قال روبي بسرعة: «اعتقد انها اكبر بكثير مما تبدو، وهي ذكية جداً. وبما ان ابنتك صغيرة فهي بحاجة إلى شابة بجانبها.»

اصر كلنت ويكهام: «انه وضع ينطوي على الكثير من المسؤولية. انني مصمم على ان تحصل ماري ـ لي على ثقافة جيدة.»

ضحك روبي: «اوافقك الرأي، وهذا ما يجب ان تحصل عليه النساء هنا. فكما تعلم في بلادنا، يذهب الاولاد إلى المدارس العامة وبعدها إلى الجامعات، بينما الفتيات اللواتي يتعلمن من خلال نساء يعرفن اكثر منهم بقليل.»

قال كلنت ويكهام بقساوة: «لقد سمعت بذلك، وهذا ما لا استطيع تحمله، اذا حصل مع ماري ـ لي.»

ادرك روبي انه قد يجد كل الفتيات اللواتي يتعرف عليهن بواسطة باتريك سخيفات وجاهلات كما حصل معه بالذات.

فعندما ذهب للمرة الأولى إلى لندن، دعي إلى حفلة جميلة، فكر ان من واجبه ان يجالس ابنة صاحب الحفلة، ولكنه بعد فترة تخلى عن هذه الفكرة. واصبح يهتم بالجميلات المترفات اللواتي لا يستطيع تجنبهن امير ويلز.

اما جهل تيلا بكل علاقاته الغرامية يعود إلى التعقل التام الذي كان يتصرف به. لم يكن هو وحده يحافظ على هذا التكتم، بل أيضاً صديقته سيرين.

لن يتعجب روبي اذا خاب امل باتريك أو كلنت ويكهام من فشل دور الحفلات العائلية.

كان قلقاً بعدما سمع من كلنت ويكهام انه يرغب بانصراف تيلا لأنها غير مناسبة لهذا العمل.

اذا ما حدث هذا، ستحل به كارثة، لان عقد الايجار سيلغى. كل ما كان يأمله ألاّ تخذله تيلا.

عليه ان يخبرها بطريقة ما ان تبرهن بانها ذكية. وهذا ما يرى دائماً انها يجب أن تكون عليه.

مع ان كلنت ويكهام قد لا يشاركه الرأي.

الفصل الرابع

نهضت تيلا باكراً.

أول ما فكرت به انها لم تقابل كلنت ويكهام ليلة البارحة. كان امراً مريحاً لها انه لم يرسل في طلبها قبل العشاء. ثم علمت ان روبي وباتريك يتناولان العشاء معه.

فكرت انه من غير المستحب ان يدعوها بوجودهما. فانتظرت في غرفة الدرس إلى العاشرة والنصف، عندها ذهبت إلى غرفتها.

كانت تقرأ كتاباً مشوقاً، وجدته في خزانة الكتب في غرفة الدرس. وتخيلت انه قد استعمل منذ سنوات مرت من قبل مربيتها.

ربما قد وضعته أمها هناك بعد ان كبرت هي وروبي واقفلت غرفة الدرس.

انه كتاب عن العصور الوسطى. قصة فرسان وشجاعة نادرة جعلتها تمضي الليل تقرأها بشغف.

عندما استيقظت، نظرت إلى الساعة لترى انها مازالت السادسة والنصف، لكن الشمس حولت الحديقة إلى لون الذهب فشعرت بحنين قوي إلى كنغ فشر.

عبرت الممر ودخلت إلى غرفة الدرس، وللغرابة، وجدت ماري ـ لي تنظر من النافذة.

تعجبت تيلا: «لقد نهضت باكراً. اعتقدت انك تعبة بسبب رحلتك الطويلة نهار البارحة.»

قالت ماري ـ لي: «لست تعبة، وارغب في الخروج لركوب الخيل.»

لمعت فكرة واضحة لدى تيلا واقترحت: «هل تذهب إلى الاسطبل، ونقوم بنزهة على الخيل قبل الفطور.»

قفزت ماري ـ لي من الفرح: «ارغب بذلك كثيراً.»

قالت تيلا: «اتساءل اذا ما كان هناك مهر جيد للركوب؟» اعتقدت انه أمر قد نسيه روبي.

ضحكت ماري ـ لي: «كنت اركب الخيول الكبيرة في مزرعة والدي في اميركا.»

كان يبدو الأمر مفاجأة بالنسبة لفتاة في عمرها، لكن تيلا سمعت دائماً ان الاطفال في مزارع اميركا يركبون الخيل عندما يبدأون بالسير.

قرعت الجرس لاميلي التي تعجبت لاستيقاظهما باكراً هكذا. قالت وهي تقترب: «كنت سأحضر الفطور عند الثامنة والنصف.»

قالت تيلا: «سنعود في الوقت المحدد.»

كانت اميلي تلبس ماري ـ لي التي ركضت إلى غرفتها لترتدي ملابس ركوب الخيل.

لم تكن بحاجة لشراء ملابس للركوب لأنها سترتدي ملابس والدتها.

وبما ان والدتها كانت دائماً تركب الخيل مع أبيها فلقد خاطت هذه الملابس عند أشهر خياط في لندن. وبالكاد ارتدتها قبل ان تموت.

فكرت تيلا عندما اصبحت شابة انه ليس من الضروري ارتداء الملابس الخاصة بركوب الخيل عندما تمتطي كنغ

فشر، لأنها وحيدة في ستافرلي، اما الآن فترى انه الوقت المناسب لارتدائها.

عليها ان ترتدي ملابس انيقة ومناسبة كما تفعل كل مربيات الاطفال.

كان خصرها يبدو نحيلاً وارتدت تحته قميص بيضاء من الموسلين، هي أيضاً لأمها.

كانت تعتقد ان ملابس ركوب الخيل قد تغيرت في السنوات الأخيرة، ولكنها اقنعت نفسها ان كل من يرى مربية الاطفال يظن انها من النوع التقليدي، وعندما عادت إلى قاعة الدرس بدت جميلة وكانت ماري ـ لي بانتظارها.

كانت ماري ـ لي ترتدي ثياباً جميلة وخفيفة للركوب، شعرت تيلا بأنها مقبولة لو ارتدتها فتاة شابة. ولكن في الوقت نفسه، بأن ماري ـ لي ستواجه الكثير من الانتقاد فيما لو رآها الجيران. ومع ذلك لم تكن على استعداد لتقول لها أية كلمة حالياً.

أمسكت بيد ماري ـ لي وخرجتا من دون ان يراهما احد.

غادرتا القصر من باب الحديقة الذي يوصل مباشرة إلى الاسطبل. كانت الساعة قد تجاوزت السابعة عندما وصلتا، ورأتا حوذياً يحمل بيده دلو ماء ويتجه نحو مربط الخيل.

قالت تيلا لماري ـ لي: «اذهبي واختاري الحصان الذي تجدينه مناسباً لك.» اما هي فلقد اختارت جواداً لنفسها عندما وصلت الخيول من معرض تاترسال. كان جواداً داكن اللون، مفعماً بالحيوية، تجري فيه دماء عربية. طلبت من الحوذي ان يسرج الحصان، وما ان بدأ بعمله حتى صاحت

ماري لي: «لقد وجدت ما ارغب به، يا آنسة ستيفنز.»

مرت تيلا امام عدة مرابط خيل حتى وصلت إلى الفتاة التي كانت تربت على حصان كستنائي جميل.

كانت متأكدة انه اختيار روبي. كان لديه ولع بالخيول الكستنائية اللون.

نظرت إلى طريقة تقبله لملامسة ماري ـ لي وتمتعه بمداعبتها له، وشعرت انه بذلك لن يكون جموحاً.

خرجتا على الحصانين من الاسطبل بعد خمس دقائق. ادركت تيلا ان ماري ـ لي لم تبالغ عندما قالت انها تجيد ركوب الخيل.

كانت تبدو مرتاحة جداً على الحصان مع أن الحوذي قصّر اربطة السرج.

قالت ماري ـ لي: «احب هذا الحصان. احبه كثيراً.»

بينما كانت ماري ـ لي تعاني بعض المشاكل مع حصانها، الذي كان يبدي بعض الجموح. وصلتا إلى الحقل الواسع القريب من القصر.

عندها علمت تيلا انه كان عليها ان تأخذ السماح من السيد ويكهام بركوب أحصنته.

لكنها قالت لنفسها انها غير متأكدة انه سيوافق على مثل هذا العمل.

في مطلق الاحوال لقد تمكنت من ركوب اجمل حصان رأته في حياتها.

رغبت أن تأخذ ماري ـ لي باللطف في حال ان الطفلة لم تكن كفوّة كما تظن نفسها. لكن بدا انه ليس عليها ان تقلق، اذ بدأت ماري ـ لي بالعدو امامها.

تحركت بسرعة مما دعا تيلا لتستحث حصانها ليلحق بها.

تسابقتا مسافة طويلة حتى وصلتا إلى ارض لم يستطع روبي ان يجني محصولها، وتوقفتا عندما وصلتا إلى حاجز عالٍ منتصب امامهما.

اعلنت ماري ـ لي: «اريد ان اقفز الحاجز.» كان هناك تصميماً واضحاً في صوتها ادركت معه تيلا أن من الخطأ منعها.

عوضاً عن ذلك قالت: «اعتقد أنه من الحكمة ان نتعامل مع الخيل بسهولة حتى نعتاد عليهما، عندها نبدأ بالقفز فوق الحواجز.»

فكرت للحظة ان ماري ـ لي ستعارضها فاضافت بسرعة: «لدي شيء اريدك ان تريه. شيء مثير جداً لا بد ان تريه.»

سألت ماري ـ لي: «ما هو؟»

قالت تيلا وهي تشير: «هل ترين تلك الغابة انها غابة سرية واريدك ان تدخلي اليها.»

سألت ماري ـ لي: «سرية؟ لم هي سرية؟»

اجابت تيلا: «هذه اشياء ساخبرك بها لاحقاً. أولاً عليك اخباري بما تشعرين هناك.»

خدعت الطفلة بذلك وهذا ما كانت تيلا متأكدة منه. وأسرعتا تعودان باتجاه الغابة.

انه المكان الذي كانت تقصده تيلا كل يوم مع كنغ فشر. هناك تخترع القصص التي هي جزء من افكارها وسعادتها.

ما ان وصلتا إلى المنطقة المعروفة باسم غابة الاجراس الزرقاء قالت تيلا لماري ـ لي: «لا اريدك ان تتكلمي، فقط اتبعيني عبر الغابة وبعدها ثخبريننني لاحقاً ماذا رأيت وماذا سمعت وبما شعرت.»

نظرت ماري ـ لي متسائلة وقالت: «هل هذه لعبة؟»

«انها لعبة خاصة، وساخبرك عنها لاحقاً، اما الآن فافعلي فقط ما اقول.»

سارت امامها، تتنقل فوق الارض المغطاة بالطحلب في الممرات بين الاشجار. وهكذا وجدت نفسها تنزلق إلى احلام اليقظة، التي كانت صديقتها الدائمة ولأشهر طويلة، كان روبي يقضيها في لندن.

كانت اشعة الشمس تلمع كالذهب بين الاشجار، والعصافير ترفرف فوق رأسيهما.

كان هناك بركة في وسط الغابة، ومهما تزداد حرارة الصيف فهي لا تجف أبداً، بينما اغصان شجر الصفصاف تتدلى فوقها.

رأتا دجاجة تتبعها عشرة فراخ صغيرة تركض لتختبيء وراء العليق المحاذي للماء.

توقفت تيلا للحظة بجانب البحيرة تتأمل المياه العميقة، ثم تابعتا المسير.

شاهدتا الكثير من العليق ممتلأ بالازهار. نظرتا معاً هي وماري ـ لي إلى الفراشات ترف فوقهما، كما كان هناك قفير من النحل يتنقل فوق الازهار ليجمع الرحيق.

وما هي الا لحظات حتى بدت الغابة بأكملها مفروشة

باللون الأزرق، ففي كل سنة من هذا الوقت تتفتح ازهار الجريس. وبالنسبة لتيلا كانت هذه الازهار احب اليها من كل ازهار الحديقة.

شدت لجام الحصان لتنظر إلى كل هذا الجمال وتساءلت ان كانت ماري ـ لي قد شعرت به مثلها.

وصلتا إلى الغابة، وكان هناك جدول صغير تخوض به الخيل قبل ان تعود إلى الحقول الواسعة.

عندما عادتا إلى مكان يتقد بنور الشمس نظرت تيلا إلى ماري ـ لي باستفهام.

علمت ماري ـ لي انها تستطيع الكلام الآن فصاحت: «انها رائعة، ارض خلابة. انني متأكدة ان هناك حوريات كانت تطير فوق الفراشات.»

ابتسمت تيلا: «هذا ما افكر به دائماً.»

«لقد رأيت فراخ البط في الماء.»

قالت تيلا: «إنها دجاج الماء. ما هو رأيك في البحيرة؟»

سألت ماري ـ لي: «هل هي بحيرة خلابة؟»

ابتسمت تيلا: «خلابة جداً بالنسبة لي.»

«لماذا؟»

اجابت تيلا: «كل البحيرات في الغابات خلابة دائماً، ولها ميزات خاصة.»

وما ان سلكتا طريق العودة عبر الحقول حتى اخبرتها اسطورة هيلاس الذي احتجزته حوريات الماء في البحيرة حيث يعشن وبذلك عملن على ابقائه معهن.

أصغت ماري ـ لي ـ بانتباه وسألتها: «كيف كان يتنفس تحت الماء طالما انه انسان؟»

اجابت تيلا: «اعتقد ان حوريات البحر علّمنه كيف يتنفس تحت الماء.»

صمتت ماري ـ لي ـ لفترة ثم قالت: «اعتقد ان ابي سيظن انه غرق.»

قالت تيلا: «لن تفسدي علي قصتي. احب ان افكر انه مازال هناك يسبح كما تفعل حوريات البحر.»

عادتا إلى الصمت وهما تعدوان ببطء، عندها قالت ماري ـ لي: «يقول ابي ان ليس هناك حوريات.»

فكرت تيلا بازدراء ان هذا هو نوع الكلام الذي يتفوه به رجل اعمال اميركي إلى طفلة، بينما تابعت ماري ـ لي: «هل تستطيع ان ارى الحوريات؟»

هزت تيلا برأسها وقالت: «نحن لا نراهن باعيننا، ولكن نشعر بوجودهن وقلبك يخبرك ما هو صحيح وما هو غير ذلك.»

قالت ماري ـ لي بشوق: «ارغب كثيراً برؤيتهن.»

قالت تيلا: «تختفي الاشياء السرية عندما نريد التأكد منها. هل سمعت يوماً قصة الحورية الذهبية؟»

فكرت ماري ـ لي للحظة وقالت: «لا اعتقد ذلك.»

اخبرتها تيلا كيف كانت الناس ترى الحورية الذهبية ولكن كانت تختفي عندما يفكر احداً بلمسها.

فكرت ماري ـ لي ان هذا الأمر مضحك وضحكت على صوت عالٍ وقالت: «لن يعجب والدي بالأمر، فلديه الكثير الكثير من الذهب، اما اذا اختفى فسيغضب كثيراً!»

«مع الحورية الذهبية تستطيع شراء الاشياء التي تكلمنا عنها صباحاً مثل حوريات الماء التي تطير فوق الفراشات.»

شعرت ماري ـ لي بالشوق لمعرفة كل شيء فسألتها برجاء: «أخبريني المزيد عن الحوريات.»

قالت تيلا: «اعتقد انه علينا الرجوع لتناول الفطور الآن. ولكن ربما نستطيع الركوب ثانية اليوم. سآخذك إلى غابة اخرى مليئة بالاشجار الصنوبرية. وانني متأكدة اننا سنجد أموراً مثيرة ورائعة هناك أيضاً.»

قالت ماري ـ لي: «انه يوم رائع جداً.»

ما ان تفوهت بهذا الكلام حتى لمحت شخصاً ما على الحصان فصاحت: «هذا أبي.»

قادت حصانها إلى الأمام، وبينما كانت تسرع نحو والدها، كانت تيلا تتبعها.

لم تتوقع من السيد ويكهام ان يركب الخيل قبل الفطور. وكانت متأكدة ان روبي وباتريك قد امضيا الليل في ستافرلي. لذلك اعتقدت انهما سيأخذانه لرؤية اماكن جديدة في المنطقة حيث يحاول روبي ان يبدأ باعمال جديدة.

قال لها روبي ذات يوم: «بما ان ويكهام يدفع، فانني استطيع القيام بأمور كثيرة رغبت بها، ولكن لم يكن معي المال ابداً.»

حذرته قائلة: «كن حذراً. لقد دفع كثيراً على القصر، وسيدفع كذلك على الأرض المحيطة به.»

«لا اعتقد انه يتوقع ان يعيش كالملك والاراضي حوله مندثرة ويابسة.» كان يتكلم بجدية مما جعلها تشعر ان النقاش لن يجدي.

من ناحية اخرى، فكرت انه من الحكمة ان يحاول روبي الاهتمام بالاعمال. ومن الخطأ ان تكون نتيجة اعماله

مفاجأة لأحد. فلقد كانت تخاف ان يدفعا نفقات تصليح الاراضي المجاورة من الايجار.

عندما قررت ان عليها ان تقتصد... فهما سيحتاجان كل فلس عندما سيعود السيد ويكهام إلى اميركا، والا لن يكون هناك مال لابقاء القصر رائعاً كما يجب ان يكون.

اقتربت ماري ـ لي من والدها. وبينما كانت تيلا تقترب ببطء سمعت الطفلة تخبر والدها بشوق كم فرحت بركوب الخيل هذا الصباح.

انضمت تيلا اليهما وشعرت ان كلنت ويكهام ينظر إليها بقساوة. قال: «لم اتوقع منك ركوب الخيل باكراً جداً هذا الصباح، آنسة ستيفنز.»

اجابت تيلا: «آسفة إذا قمنا بعمل خاطىء. لكن ماري ـ لي وانا نهضنا باكراً، ورأينا اليوم رائعاً، عندما فكرت لو نخرج لنزهة قصيرة قبل الفطور.»

قال السيد ويكهام: «انها التاسعة الا ربعاً. عندما علمت بالوقت الذي خرجتما فيه، اعتقدت انك تعانين من بعض المشاكل.»

كان يتحدث بلهجة، قاسية. شعرت تيلا انه يقصد انها هي من تعاني المشاكل، وليست ماري ـ لي. ادركت انه من الخطأ ان تعارضه وتناقشه.

لحسن الحظ قاطعته ماري ـ لي قائلة: «يعجبني كثيراً هذا الحصان. لقد احببته.»

قال وكأنه يتعمد ان يجد اخطاءً في اي شيء: «اعتقد انه كبير جداً عليك.»

كان يمتطي حصاناً قوياً رائعاً ظنت تيلا انه سيعجبه

كثيراً. كان لا شك سيكون اختيارها الثاني لو لم تختر الحصان الداكن.

قالت ماري ـ لي: «انني الآن جائعة وارغب في تناول الفطور. لنتسابق يا والدي، حتى الاسطبل.»

وانطلقت بعد ذلك.

علمت تيلا ان عليها الاعتراف بان ماري ـ لي تركب الخيل بجدارة لا تقارن مع الاطفال البريطانيين الذين هم في مثل سنها.

كان كلينت ويكهام يتبعها ورأت تيلا انه يمتطي الجواد على نحو ممتاز أيضاً.

تبعتهما تاركة مسافة بينها وبينهما، وفكرت وهي تبتسم أنه هكذا يتصرف المستخدمون.

عندما وصلت إلى الاسطبل كان الحوذي بانتظارهم ليستلم الخيول.

راقبها كلنت ويكهام وهي تنزل عن الحصان وقال: «لدي مواعيد يا آنسة ستيفنز هذا الصباح. واعتقد انك ستعلمين ماري ـ لي دروسها، بعدها سأعلمك ما هي اعمالي لبعد الظهر.»

لم ينتظر حتى ترد تيلا عليه، بل دار وسار نحو البيت.

كانت ماري ـ لي تربت على حصانها، وعندما قيد إلى مربطه تركته لتمسك يد تيلا وقالت: «كان امراً مسلياً. ارغب في ركوب الخيل بعد الفطور أيضاً، ولا اريد هذه الدروس المخيفة التي تحدث عنها والدي.»

اجابت تيلا: «عليك ان تقومي بواجباتك كما قال والدك. ولكن سيكون لدينا درس خاص جداً.»

سألت ماري ـ لي بحذر: «ماذا يكون هذا الدرس الخاص جداً؟»

اجابت تيلا: «درس سيعجبك كثيراً.»

دخلتا معاً إلى غرفة الدرس. وبينما كانتا تتناولان طعام الفطور شعرت تيلا بالرغبة لرؤية روبي.

لقد توقعت ان يعود إلى لندن مع باتريك مساء البارحة، ولكن ربما امضيا الليل في داورهاوس. تمنت ألا يكونا قد فعلا ذلك، لأنهما بذلك يكونان قد ارتكبا خطأ في ذلك، فمن الافضل الا يعرف كلنت ويكهام بداورهاوس، على الرغم انه ليس هناك من سبب يجعل كلنت يربط أمرها بأمر روبي وباتريك.

عندما انتهتا من تناول طعام الفطور نظرت ماري ـ لي إليها بارتياب وسألتها: «ماذا سنفعل الآن؟»

اجابت تيلا: «سنأخذ درساً في التاريخ.»

تأففت ماري ـ لي: «اكره التاريخ، ولكن والدي يقول ان علي تعلم ذلك.»

قالت تيلا: «هذا الدرس رائع جداً، ففيه سنكتشف هذا القصر. وهناك قصة جميلة لكل غرفة فيه.»

صرخت ماري ـ لي من الفرح وقفزت لتصبح بجانبها. وبسبب خوف تيلا من الاقتراب من السيد ويكهام، قررت أن تبدأ من أعلى غرفة في القصر.

بدأتا من الطابق العلوي لتصلا حتى نهايته. وبما انها تعرف قصة كل حجر وكل عصا في هذا القصر كانت متأكدة من ان ماري ـ لي ستفرح بهذا الدرس.

أولاً، كما تعلم تيلا، انه مكان رائع شامل لرؤية كل مناظر

حياة الريف. كما سارية العلم تزين سطحه، مع العلم ان راية ستافرلي لم تكن موجودة.

شرحت تيلا لماري ـ لي ان العلم الذي غيره روبي بعلم جديد لا يوضع على السارية الا عندما يكون صاحب البيت مقيماً فيه.

«لم لا يستطيع والدي استعماله ووضعه في سارية العلم.»

اجابت تيلا: «انه يستطيع فقط ان يستعمل علماً خاصاً به، وبما انه اميركي لا اعتقد ان لديه واحداً.»

فكرت وهي تتكلم ان كلنت ربما أيضاً يرغب بذلك، فهو يرغب في دمج ماله مع مركز اجتماعي لعروسه الدوقة.

ومما لا شك فيه ان لديها أيضاً الكثير من المال أيضاً.

أمضتا معاً وقتاً طويلاً على السطح لدرجة انهما لم تشعرا بمرور الوقت الذي حان فيه موعد تناول الغداء مما جعلهما تنزلان فوراً من العلية إلى الطابق الأول.

قالت ماري ـ لي: «أريد رؤية كل شيء فيه. لقد وعدتني بأن تروي لي قصته في كل غرفة.»

ردت تيلا: «في كل غرفة وكل صورة وكل كتاب.»

توقعت ماري ـ لي أن يرسل بطلبها لتتناول الغداء مع والدها. ولكنها علمت من الخادم المسؤول ان السيد ويكهام قد يتناول الغداء خارجاً.

فرحت تيلا للأمر، ولكن ماري ـ لي خاب أملها.

ولأنه لم يكن هناك من سبب يمنع خروجهما، فقد خرجتا ثانية بعد الظهر في جولة على الخيل لساعة واحدة فقط.

اختارت تيلا حصاناً رائعاً كالذي اختارته صباحاً، لكنها لم تتمكن من عدم الشعور بخيانتها لكنغ فشر.

ولكن في ذات الوقت، كان يسعدها ان تمتطي جواداً صغيراً مفعماً بالحيوية.

في الحقيقة كانت تخاطر بكل شيء، حتى باغضاب السيد ويكهام.

كانتا تشربان الشاي في غرفة الدرس عندما أتى من يخبرها بأن السيد قد عاد ويريد من ابنته ان توافيه.

كانت ماري ـ لي تبدو جميلة جداً بثوبها الأزرق المخطط.

قالت تيلا: «انزلي لرؤية اباك.»

«ألن تأتي معي؟»

«لا يا عزيزتي، انه يريدك. وسأبقى هنا لحين عودتك لتذهبي إلى سريرك.»

للحظة قطبت ماري ـ لي وجهها: «اريدك ان تأتي معي لتخبري والدي كم كان يومنا رائعاً.»

قالت تيلا: «اني متأكدة انك ستخبرينه بذلك من دوني.»

ولدهشتها مدت ماري ـ لي يديها على خصرها وضمتها بشدة وهي تقول: «كان يوماً رائعاً، من اجمل ايام حياتي.»

ثم ركضت عبر الغرفة واختفت وهي تنزل الدرج.

نظرت تيلا من النافذة وعلى وجهها ابتسامة قلقة. فهي ايضاً استمتعت بهذا اليوم.

مع انها متأكدة ان السيد ويكهام لن يرض عن طريقة تعليمها لابنته وقالت لنفسها: انه قاس ومادي.

هي متأكدة ان مايريده كتاباً مليئاً بالاعمال

الحسابية. لقد كانت دائماً تكره الرياضيات عندما كانت طفلة.

كما انه لا شك يريد كتاباً مليئاً بالافعال والصفات. ومع القواعد لا بد من وجود المقالات المملة التي تتطلب الكثير من الكتابة.

تنهدت بمرارة وقالت لنفسها إن لم تفعل ما يطلبه السيد ويكهام، فعليها ان تتوقع طردها من العمل.

كانت متأكدة من ذلك عندما عادت ماري ـ لي بعد ساعتين.

لم تستطع تيلا إلا ان تسأل: «هل اخبرك والدك كيف امضى وقته؟»

كانت تشعر بالفضول وتريد ان تعرف إن كان روبي مازال هنا ام غادر إلى لندن.

اجابت ماري ـ لي متعجبة: «لقد ذهب لرؤية المزرعة.»

سألت تيلا: «لماذا فعل ذلك؟»

شرحت لها ماري ـ لي قائلة: «انها مزرعة نموذجية. وابي الآن يريد واحدة مثلها.»

فهمت تيلا على الفور ان روبي يحاول تحسين المزارع في المقاطعة، فهي الآن عديمة الجدوى وقديمة جداً. وكانت رغبته في انشاء مزرعة نموذجية يدل على ذكاء حاد، ضربة ذكاء منه ان يريد مزرعة نموذجية. وهي تعلم من صاحبها.

كان من الواضح ان روبي وباتريك قد خططا لذلك. فروبي سيحصل على مزرعة جيدة في ارضه، وباتريك سيأخذ حصته من كل ما ينفق.

وشعرت بالاحباط ان كليهما يتصرفان بحقارة.

سألت نفسها: لكن لمَ لا؟

اذا كان السيد ويكهام يريد الافضل لدوافعه المستقبلية، فعليه ان يكون مستعداً لدفع أي شيء.

كانت متأكدة ان هذا هو السبب الذي من اجله جعل ستافرلي هكذا، القصر، الحديقة، الاسطبل، والآن المزرعة. لا شك ان كل هذا سيؤثر بالفتاة التي يرغب الزواج منها.

انه يرغب بالحصول على ضمانات كافية قبل ان يتقدم. وللمرة الأولى فكرت لماذا باتريك لم يقنعه بشراء بيت له. لكنها علمت الجواب قبل ان تسأل أحداً انه من الصعب ان يجد بيتاً مهماً كستافرلي. قالت لنفسها: اتمنى له الحظ الجيد.

وبمزيد من احساسها بالفضول الذي يتملكها سألت ماري ـ لي: «هل كان والدك بمفرده؟»

اجابت ماري ـ لي: «نعم، فاصدقاؤه رحلوا. لقد قالوا لي انني جميلة. هل تظنينني كذلك يا آنسة ستيفنز؟»

«انت جميلة جداً عندما تبتسمين، لكنك تصبحين قبيحة عندما تتجهمين؟»

«ومتى ابدو متجهمة؟»

«عندما تصادفين أي شيء يعارضك.»

ركضت ماري ـ لي إلى المرآة لتنظر إلى نفسها وقالت: «الآن ابدو جميلة. أحد الرجال الذي كانوا مع والدي قال انني جميلة أيضاً، لكن والدي قال: جميلة جداً لتكون مربية اطفال فقط.»

فكرت تيلا بأن هذا هو تماماً ما توقعته. كما كانت تعلم ان الحقيقة تؤخذ دائماً من افواه الاطفال أو المجانين. إذاً،

ليس عليها الا انتظار ان يصرفها السيد ويكهام من الخدمة.

ساعدت اميلي لوضع ماري ـ لي في سريرها، التي قالت: «اني احبك يا آنسة ستيفنز، وأرى انك جميلة جداً.»

اجابت تيلا: «انتظري حتى اعارضك عندها سترينني قبيحة جداً.»

قالت ماري ـ لي: «قبيحة جداً جداً.» وضحكت.

قبلتها تيلا قبلة المساء وقالت: «عمت مساء.»

«وأنت أيضاً؟»

عادت تيلا إلى غرفة الدرس. وكانت تهم بالمغادرة إلى غرفتها عندما سمعت وقع خطوات الخادم الذي قال: «السيد يسأل اذا كانت تستطيعين النزول إلى المكتبة؟»

هذا ما كانت تتوقعه، لكنها شعرت بأن قلبها يدق بعنف. فاذا كان عليها ان تترك ستافرلي فلا تدري ماذا سيكون موقف روبي أو مدى انزعاج باتريك.

نظرت إلى نفسها نظرة خاطفة بالمرآة ورأت ان شعرها مازال مرتباً. عندها لحقت بالخادم الذي كان ينتظرها، ولأنه كان يعتقد انها لا تعرف الطريق اوصلها إلى المكتبة.

فتح الباب ليعلن قدومها. ما ان فعل ذلك حتى شعرت بالحنين للزمن الماضي حين كان والدها يجلس إلى مكتبه، بينما أمها تخيط على الكرسي بجانب المدفأة.

وبرباطة جأش أجبرت نفسها على التذكر ان اسمها ستيفنز وليس ستافرلي.

كان كلينت ويكهام يقف أمام النافذة وينظر خارجاً إلى الحديقة.

كانت قد وصلت إلى وسط الغرفة قبل ان يستدير.

لم يتجه مباشرة نحوها بل وقف ينظر اليها. كان ينظر إلى تجاعيد شعرها الذهبي على جبهتها، وبياض بشرتها على ثوبها الأزرق الغامق.

كانت متأكدة انه يفكر انها ليست من يريد. ومن غير ان تشعر رفعت ذقنها قليلاً. شعور الخوف في داخلها تحول الآن إلى نوع من الدفاع.

اخيراً، وبعد صمت طويل تحرك السيد ويكهام نحوها قائلاً: «اخشى ان يكون حديثنا يا آنسة ستيفنز قد تأخر قليلاً.» وأشار إلى كرسي مضيفاً: «تفضلي بالجلوس.»

تقدمت تيلا وجلست قبالته.

بدأ حديثه قائلاً: «لقد سمعت قصصاً سخيفة من ماري ـ لي عن دروسها اليوم، واني اتساءل اذا كانت هذه الدروس عملية.»

اجابت تيلا بتهذيب: «اعتقد ذلك.»

قال السيد ويكهام متأملاً: «ارغب في ان اسألك شيئاً. ماذا برأيك اهم شيء يجب ان تملكه ابنتي.»

كانت تيلا تتوقع ان يسألها اسئلة مخادعة. وبدون تردد اجابت: «مخيلتها الشخصية.»

قال: «مخيلتها. لمَ تقولين هذا؟»

فكرت انها الشيء الوحيد في الحياة الذي يكفل انه مهما حدث لها لن تشعر بالوحدة اطلاقاً.

كانت تيلا تفكر حقاً بنفسها. وفي ذات الوقت علمت انها فاجأت السيد ويكهام الذي كان يتوقع جواباً آخر.

قال: «لا استطيع ان افهم منطقك.»

قالت تيلا: «اذا فكرت في الأمر جيداً، مخيلتنا هي الشيء

الوحيد الذي يجعلنا نختلف عن عالم الحيوانات. واذا تطور الأمر نتأكد أننا نستطيع الوصول إلى النجوم.» توقفت قليلاً وتابعت: «كما اننا نجد، مهما كانت ظروفنا، كل الاشياء المهمة في الحياة، بصرف النظر عن المال.»

جلس السيد ويكهام على كرسيه واعترف قائلاً: «لقد فاجأتني آنسة ستيفنز. هل فكرت بكل ذلك من تلقاء نفسك؟»

«مع سؤال من هذا النوع، الانسان يتحدث بما يشعر لا من أجل ان يترك انطباعاً.»

ومن غير ان تتوقع ذلك ضحك فجأة، ثم شعر ان عليه ان يشرح الأمر، فقال: «انا لا اقصد ان اكون فظاً، لكنك تبدين اكبر بقليل من ماري ـ لي، ومع ذلك تتحدثين وكأن لديك شهادة دكتوراه في الفلسفة.»

اجابت تيلا: «لم أقصد ان احاول التأثير عليك يا سيد ويكهام. بصراحة، اعتقد مما سمعته اليوم من ماري ـ لي انك تحاول ان تحرمها من أمور مهمة في الحياة اكثر بكثير من الحقائق والبراهين.»

سألها كلنت ويكهام: «انا احرمها؟»

اجابت تيلا: «بالطبع، لا تستطيع اخبارها ما لا تعرفه بنفسك، فما تعلمته من مدرسة الحياة أمر مختلف جداً لطفلة تعيش في ترف كامل، ولديها كل العناية والرفاهية.»

سألها بعصبية: «والآن ماذا تعنين بذلك؟»

ابتسمت تيلا مما جعلها تبدو جميلة جداً وقالت: «احاول ان اشرح ما تحتاجه ماري ـ لي لتحريك مخيلتها.»

نهض السيد ويكهام على قدميه واخذ يجول في الغرفة ذهاباً واياباً ثم قال: «لقد طلبت منك الحضور، يا آنسة

ستيفنز، لأنني فكرت انك صغيرة جداً وغير متمرنة لتعليم ابنتي التي ارغب لها في الحصول على ثقافة عالية.»

تمتمت تيلا: «ادركت ان هذا ما تفكر به.»

قال بحدة: «توقعت ماذا ساقول لك؟»

«نعم.»

«كيف عرفت ذلك؟»

«بسبب ما شعرته عندما رأيتني للمرة الأولى. ولسبب آخر أيضاً، هو انني اعتقد بأني أعرف كيف تفكر.»

سألها: «كيف يمكنك ان تعرفي ذلك؟»

لم تجب تيلا وبعد لحظات قال بحدة: «اجيبي عن سؤالي!»

اجابت تيلا: «حسناً. انك رجل اعمال، كما انك ثرياً بشكل مذهل ومازلت شاباً وتحتل مركزاً، من خلال مالك، يجعل عدد كبير من الرجال في العالم اجمع يحسدك عليه. فلا يمكن اذن إلاّ أن تكون قاسياً وصارماً جداً.»

توقفت وهي تفكر أنها بلا شك انها ستفقد عملها نهائياً ولكنها تابعت: «ولكن هذا ليس ما تريده لابنتك، التي أولاً، مازالت طفلة، وثانياً عندما تكبر ستصبح امرأة.»

كان كلنت ويكهام يحدق بها وبينما هي تابعت: «الحقائق والبراهين مهمة لصبي ولكنها لن تجعل من ماري ـ لي امرأة جذابة قوية الشخصية وسعيدة.»

توقفت قليلاً لتتابع: «ان الأكثر أهمية هو ما تشعر به وما الذي تتوق اليه اكثر مما ان تعرف ماذا تستطيع الشراء بمليون باوند. كل مال العالم لا يستطيع شراء سعادة امرأة

أو شخصية جذابة، ولا كل تعاليم الجامعات تستطيع تغيير عواطفها.»

لم تكن تيلا تدري تماماً ماذا تقول أو لماذا تقول هذا الكلام. فقط شعرت بالكلام يتسابق إلى شفتيها. كانت تقول الصدق لأنه نابع من قلبها وليس من تفكيرها.

لكنها قالت بما تثق به. واذا صرفها من عملها لقولها هذا، فليس هناك ما تفعله.

عندها ادركت انه يحدق بها وعلامات الدهشة على وجهه. انتظرت تعليقه على قولها، لكنه تحرك ليجلس إلى جانبها. ثم قال بلهجة مختلفة تماماً عما كان يحدثها بها من قبل: «كيف وأنت في هذه السن ومع كل ما تبدين عليه، تستطيعين الكلام بكل هذا؟»

الفصل الخامس

عندما صعدت تيلا إلى غرفتها كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل. فكرت انه اغرب مساء قضته في حياتها كلها.

بعد ان أنهى كلنث ويكهام حديثه معها في المكتبة قال على نحو غير متوقع: «اريد الآن ان اغير ثيابي للعشاء. وأريدك ان تشاركيني اياه.»

نظرت تيلا اليه مندهشة: «اتناول العشاء... معك؟»

«عند الثامنة مساءً.»

لم تجب وبعد لحظات قال: «هل تريدين ان تقولي ان لا رغبة لك بذلك؟»

اجابت تيلا بصدق: «كنت... اتمنى... ان افعل... ولكن سيكون ذلك خطأ.»

سألها بلهجة فظة: «لماذا؟»

كانت تيلا تعلم انه من غير المألوف لها ان تتناول العشاء مع رجل ما، كما انها موظفة لديه، وهذا ما يجعل الأمر اسوء، فالخدم سيتكلمون.

بعد لحظات قالت: «مربية الاطفال في انكلترا لا تتناول العشاء في غرفة الطعام مع مدير عملها، والا اعتبر هذا عمل مخز.»

ضحك كلنث ويكهام وقال: «هذا ما اتوقعه في انكلترا، ولكنني اميركي، وبالطبع تعلمين ان ليس لدينا طبقية في بلادنا.»

اجابت تيلا: «ما عدا طبقية المال التي نعمل منها عوائق ونحترمها.»

«هذا نقاش لا أود ان اخوضه معك الآن. واذا كنا الآن في انكلترا أو هنولولو، اريد ان اتناول العشاء معك.»

قالت تيلا بامتعاض: «حسناً... فانني بالكاد... استطيع ألاّ أقبل... دعوتك.»

خرجت من المكتبة وهي متأكدة ان عينيه تتبعانها حتى اغلقت الباب.

ركضت مسرعة على الدرج، وعندما وصلت إلى غرفتها، سألت نفسها ما اذا كان هناك امر اشد متعة من النقاش مع رجل ذكي مثل السيد كلنت ويكهام.

ارتدت احد فساتينها الجميلة، بالطبع لن يكون بجمال ثياب السيدات اللواتي يعرّفه بهن باتريك.

نظرت إلى المرآة، ولأنه قد مضى زمن طويل لم ترتدي فيه ثياباً انيقة، شعرت انها تبدو جميلة.

شعرت ان عليها التحقق من رأي كلنت ويكهام بها.

قالت لنفسها باحباط: «يبدو أنه يفكر في طردي.» فبعد الحديث الذي دار بينهما، ولأنه دعاها إلى تناول العشاء معه، فيبدو انه سيغير رأيه، لكنها مازالت غير متأكدة من الأمر.

عندما نزلت إلى الطابق الأرضي، كانت تشعر بالخجل، بينما كان ينتظرها في قاعة الاستقبال. وما ان سارت نحوه حتى علمت انه يقيّمها.

بدا وسيماً في بدلته المسائية وعلمت ان باتريك لابد وانه جنى ثروة من ثمنها لأنها انكليزية الصنع.

بعدها حاولت أن تتناسى ان باتريك واخيها يستغلان كلنت ويكهام بسبب ثرائه.

قالت لنفسها: هذا ما يستحقه.

غير انها ادركت خلال تناولهما طعام العشاء ان ثقافته تدهش. في ذات الوقت، كان يبدو مهتماً جداً بما كانت تقوله.

تناقشا في مواضيع مختلفة مما أنسى تيلا ماذا كانت تأكل. فلقد وجدت نفسها تؤيد نظريات كانت تعلم دائماً انها تجهلها.

من ناحية ثانية، علمت ان كل ما تقوله هو مجرد نظريات قرأتها في الكتب، بقيت عالقة في ذهنها طالما لم تجد الفرصة للتحدث بها أو مناقشتها، اما الآن فتنزلق من بين شفتيها بسهولة.

تنبهت بفرح واعتزاز ان كلنت ويكهام يجهد عقله ليستطيع مبارزتها شفهياً. كانا دائما الشجار والانتقال من موضوع إلى آخر.

لأكثر من مرة سأل كلنت ويكهام: «كيف تستطيعين الكلام هكذا؟ وكيف تعرفين كل هذه الأمور؟ من هم اساتذتك؟»

ضحكت تيلا: «استطيع الاجابة عن السؤال الاخير بكل بساطة.»

قال: «اذن اخبريني.»

اجابت: «من الكتب والزهور والغابات والخيل، والأهم مخيلتي التي بها اتجول في العالم كله حيث لا قدرة لي على فعل ذلك.»

تراجع إلى الوراء على كرسيه وقال: «كل ما استطيع قوله يا آنسة ستيفنز، انك شابة مميزة، كما انني اخاف عما ستصبحين عليه في الثلاثين من عمرك.»

سألت تيلا: «لماذا تخاف؟»

«يبدو لي حينها ان هناك خيارين امامك، اما ان تكوني قد اصبحت بروفسورة في الجامعة، أو أول رئيسة وزراء لانكلترا.»

ضحكت تيلا وقالت: «انه أمر غير معقول.»

«وكذلك انت. لهذا، أي شيء ممكن ان يكون معقولاً.»

قالت كأنها تعترف: «هذا ما يجب ان اقوله أنا عنك بسبب طموحك الكبير.»

كان تحديا مثيراً، وبدأ نقاشهما ثانية.

استمر بالحديث في غرفة الاستقبال، حتى نظرت تيلا إلى الساعة بدهشة وقالت: «علي الذهاب إلى النوم.»

وقف كلنت ويكهام وقال: «اجد من الصعب ان ادعك تذهبين. هناك الكثير الذي ارغب بمعرفته بعد.»

«دائماً هناك يوم آخر.»

اجاب: «ستقام حفلة في القصر غداً. كم اتمنى لو ابقى هنا بمفردي.» توقف قبل ان يتابع: «باستثناءك أنت وماري ـ لي.»

«اني متأكدة ان حفلتك على قدر كبير من الأهمية.»

كانت تيلا تعلم انه اذا كان باتريك هو من نظم هذه الحفلة فلا شك ان من بين الضيوف ابنة دوق أو كونتيسة. اما باقي الضيوف فهم بدون شك من الاشخاص المترفين والسيدات المرحات مع أو بدون أزواجهن.

لا شك ان هذا سيفرح ويسلّي كلنت ويكهام عندما يعود إلى لندن، فبسبب غناه فانه سيتنقل في افضل المجتمعات، كما سيكون ضيف شرف في قصر مارليورنغ.

فكرت انه مع كل هذا فإن السيد ويكهام أخبرها بأنه

يسعده ان يتكلم معها. أو ربما من دون ان تدري كان يهزء بها.

قالت: «عمت مساءً سيد ويكهام.» وسارت نحو الباب. تنبهت انه لم يتحرك من مكانه بل كان يراقبها.

ما ان وصلت غرفة نومها، حتى اقتربت من النافذة، ازاحت الستائر ونظرت إلى الحديقة.

كانت المياه تتدفق من النافورة وخيوطها تلمع تحت ضوء القمر. كل شيء يبدو رومنطيقياً، رائعاً وغامضاً. في كل مرة عندما تقع عيناها على شيء جميل، كانت تشعر تيلا بأنه يدخل إلى قلبها ويصبح هذا الجمال جزءاً منها.

تساءلت: كيف استطيع ان اشرح هذا الأمر لشخص مثل كلنت ويكهام؟

بدّلت ثيابها، وهي تنظر إلى الحديقة، وارتدت ثوب النوم. ثم نزعت الدبابيس من شعرها الطويل وبدأت بتسريحه.

اخيراً تنهدت ووضعت جانباً فرشاة الشعر، تركت ستائر الغرفة مفتوحة وأوت إلى فراشها.

سيوقظها النور باكراً، وربما تتمكن من الخروج باكراً مع ماري ـ لي بنزهة جميلة على الخيل قبل تناول طعام الفطور. ما ان اغمضت عينيها حتى فتح الباب. لمعت في خاطرها انها ماري ـ لي بدون شك، وان أمر ما قد حدث.

جلست في سريرها حتى رأت كلنت ويكهام في وسط الغرفة، وكان يحمل شمعة بيده.

لم يكن بحاجة لنورها لأن ضوء القمر كان كافياً. كان يرتدي روباً طويلاً.

سألت: «ماذا هناك؟ ما... الأمر؟»

اغلق الباب بانتباه وراءه، وسار نحوها ليضع الشمعة على الطاولة بجانب سريرها.

«ما الذي حدث؟ ما الذي دعاك... للحضور... إلى هنا؟»

جلس على كرسي قرب السرير وقال بهدوء: «ليس هناك أي أمر سيء، لكن عندما غادرت علمت انني لن ادعك ترحلين.»

قالت تيلا: «انا لا افهم شيئاً... لم تقل لي ان علي المغادرة ففهمت انك تريدني ان ابقى... لاهتم... بماري ـ لي.»

اجاب: «لقد اتيت لاتحدث معك عن انفسنا.»

قالت تيلا: «هذا.. أمر خاطىء. اذا علم احد بالأمر... أي انك هنا... فانه...» كانت تريد القول سيصدم ولكنها قالت: «سيتعجب كثيراً.»

قال يسترضيها: «لن يعرف احد بذلك، ما عداك. اريد ان اعلم تيلا كيف تفكرين بي.»

ابتسمت تيلا وقالت: «انه سؤال سهل جداً. اعتقد انك اذكى رجل رأيته في حياتي... مع ان لديك الكثير من الافكار... الغريبة... التي لا اوافقك عليها.»

قال كلنت ويكهام: «هذا ما اشعر به تجاهك، بالاضافة إلى انك اجمل انسان وقعت عيناي عليه.»

كان هناك رنة في صوته جعلتها تشعر بالخجل.

قالت: «ارجوك، اعتقد... ان عليك الذهاب، على الرغم من اني... استمتع كثيراً بالتحدث إليك... ولكن ان قررت الذهاب إلى لندن... لحضور احتفالك... نستطيع الكلام لاحقاً.»

قال كلنت ويكهام: «ارغب في الحديث معك الآن. اريدك ان تبقي يا تيلا.»

نظرت اليه بدهشة وفرح معاً. تمتمت وكأنها مشوشة: «انا... لا اعلم... عما تتكلم.»

قال: «انت شابة وربما بريئة جداً، ولكن اريدك ان تكوني معي كما اريد الاهتمام بك. اعدك ان افعل ذلك.»

حدقت تيلا به، وبالكاد تصدق ان هذا يحدث فعلاً.

وكأنه فهم ارتباكها تابع قائلاً: «ما اريده يا تيلا، ان تبقي معي. وتأكدي انك لن تحتاجي للعمل كي تتمكني من العيش.»

فكرت تيلا، مع ان الأمر يبدو طبيعياً لا شك انه يطلب منها الزواج بطريقة ما.

كان ينتظر جوابها فتلعثمت وهي تقول: «لكنك اتيت... إلى انكلترا... لكي تتزوج من ابنة دوق!»

قال: «اذن انت تعلمين بالأمر. اجل انه حقيقة. لم يكن هناك من مجال لأخبرك عن سبب رغبتي للقيام بذلك. فامي من اصل بريطاني وهذا ما يشعرني بتوق دائم لأكون هنا.»

كانت تيلا تسمع، لكنها شعرت انه لم يجب عن سؤالها.

قالت: «اذا كنت... ترغب بالزواج من ابنة دوق... فلماذا تكلمني... بهذه الطريقة... الغريبة؟»

قال كلنت ويكهام: «احاول ان اشرح لك، انني احتاج اليك ولكن بطريقة مختلفة تماماً.»

توقف للحظة ثم تابع: «عندما رأيتك في المرة الأولى في غرفة الدرس، علمت انك مختلفة تماماً عن اي شخص آخر. لكنني أيضاً اخاف من تأثيرك علي.»

سألت تيلا: «تخاف؟»

تابع كلنت ويكهام: «الشعور الذي احمله لك، لم اشعر به في حياتي مطلقاً مع العلم انني عرفت العديد من الناس بطريقة أو بأخرى.»

سألت تيلا: «كيف تقول هذا؟ لقد ظننت في الحقيقة انك عدائي... نوعاً ما.»

قال: «لقد اخبرتك انني خائف، والسبب هو انني دائم السيطرة على كل ما افكر واشعر به. ولم اتغير يوماً الا عندما قابلتك.»

كانت تيلا تنظر اليه بحيرة بينما تابع: «علمت الليلة انك تماماً ما اريده في حياتي، شخص يعارضني، يؤثر بي، واذا كان يعجبك الأمر يناقشني ويحاورني.»

قالت تيلا: «يسعدني ذلك، كما انه في ذات الوقت... زوجتك ستهتم بذلك... وبدون شك سيزعجها الأمر ان رأتك تعتمد على احد غيرها.»

قال: «لم اختر بعد زوجة لي، كما انه سيكون لها وضع مختلف.»

ابعدت تيلا نظرها عنه وقالت ببرودة: «بالطبع... ذلك.»

قال كلنت ويكهام بسرعة: «ليس كما تفكرين. انها ستحمل اسمي وكذلك أولادي، ذلك انني ساصبح مهماً في هذه البلاد كما في اميركا.»

كان هناك تصميم واضح في صوته اكد لها انه قد خطط لكل شيء. انه اتفاق عمل، عملية واضحة خطط لها عقله الحاد ولا دور لقلبه في أي أمر.

قالت: «لقد فهمت... لقد خططت لذلك... ولكن الذي لا افهمه ما... دوري... في كل هذا.»

ابتسم كلنت ويكهام: «انت حادة الذكاء في بعض الحالات، كما انك طفلة صغيرة في امور أخرى.

الذي اطلبه منك هو ان تبقي معي وتكوني الصديقة الوفية وتساعديني كما لن يفعل ذلك أي انسان آخر.»

سمعت للمرة ثانية لهجة السخرية في صوته عندما قال: «لم اطلب مساعدة من احد في حياتي الا الآن.»

«ان... اساعدك؟» كانت الكلمات تخرج من فمها مهتزة ثم صرخت مرتعبة: «انت لا تقول... لا يمكن... ان تقصد...؟»

توقفت عن الكلام وصوتها كان مضطرباً والصدمة واضحة فيه. وكان من الصعب على كلنت ويكهام ألاّ يلاحظ الرعب في عينيها.

قال: «لا اريد ازعاجك، ولكن اريد ان اخبرك كم ستصبحين ثرية، ثرية جداً.»

عندما انتهى من حديثه ادرك ان تيلا لم تتحرك وكأنها تحولت إلى حجر.

صرخت قائلة: «لا... لا... كيف تستطيع ان تسألني امراً كهذا... انه خطأ... هذا امر حقير. لا شك ان أمي كانت سترتعب!»

لم يتحرك كلنت ويكهام فتابعت: «ارحل... ارحل بعيداً... وانسى انك تكلمت معي... في هذا الموضوع.» تنهدت وتابعت: «يجب علي ان اغادر الآن... علي ان انهض... الآن... واغادر... فوراً!»

قال كلنت ويكهام: «اسمعي، يا تيلا. لا نية لي لأزعجك هكذا. فقط استطيع ان اطلب ان تسامحيني. لم يكن لدي ادنى فكرة انك ستصدمين هكذا. فكري بالأمر فقط انني اميركي ولا احسن التصرف.»

لم تجب تيلا فقال بعد لحظة: «ارجوك، انسي انني اتيت إلى هنا. استطيع ان اقول لك بكل صدق انني لم افكر قط انك ستصدمين.»

قالت وكأنها تحاول ان تجعله يفهم: «انه.. أمر حقير... انها جريمة.»

قال كلنت ويكهام: «انها كذلك بالنسبة لك. اذن، ارجوك يا تيلا، سامحيني، واقسم لك انني لن اعينك هكذا ابداً ثانية.»

كانت الدموع تترقرق في عينيها، لكنها حاولت ان تنظر اليه.

قال: «انني آسف. آسف جداً. لا يمكن ان تكوني قاسية ولا تسامحيني.»

تمتمت تيلا: «ارغب في ذلك، ولكن...»

كانت تتكلم وهي تفكر بالرحيل، وكأنه قرأ افكارها. قال: «اذا رحلت الآن، فسأرحل وراءك، وغداً لدينا حفلة، فلن يجد الضيوف احداً لاستقبالهم وهذا ما سيسبب فوضى لا تحتمل.»

علمت تيلا انه يحاول ان يجعلها تضحك، لكن كان هناك قلق في عينيها وهي تقول: «عدني ألاّ تقول شيئاً مماثلاً كهذا لي ثانية.»

قال: «اعدك بذلك، لكن عليك ان تعديني ان تبقي وتهتمي بماري ـ لي و بي أنا أيضاً ولو بشكل عابر.»

لمح الشك في النظرة الخاطفة التي رمته بها فقال: «بالطريقة التي امضينا بها السهرة. نتحدث ونضحك ونتناقش، من خلال اعطائي افكاراً جديدة. وكما قلت سابقاً، ان تلهميني وهذا ما لن احصل عليه من أي انسان آخر.»

سألت تيلا: «هل هذا حقاً... ما تطلب؟» وكأنه سؤال من طفل يخشى البقاء في الظلام.

قال كلنت ويكهام: «كل الذي اعرفه انني لا استطيع خسارتك، وطالما انت هنا، انت تضعين القواعد وانا من يطيع اذا كنت اقدر على ذلك.»

تأملها ملياً وأحس بها ترتجف، فقال: «هناك شيء غالٍ جداً بيننا، وبالطبع انت ذكية ما فيه الكفاية، لتعلمي اننا لا نستطيع التخلي عنه.»

بقيت صامته فقال: «ارغب في بقاءك قربي اكثر مما ارغب في أي شيء آخر في حياتي كلها، ولكنني وعدتك ان احترم رغبتك، لذا لن اقول الآن سوى عمت مساءً.»

غادر بينما بقيت تيلا تحدق بحيرة في كل ما حولها.

استيقظت تيلا في صباح اليوم التالي متعبة لانها لم تنم قبل غروب ضوء القمر. كان ذلك الهدوء الحالم قبل بزوغ الفجر. شعرت انه لن يكون لها فرصة في الخروج إلى النزهة قبل تناول طعام الفطور.

قالت ماري ـ لي كأنها توّنبها عندما دخلت غرفة الدرس: «لقد اعتقدت انك ستحضرين باكراً وتوقظينني يا آنسة ستيفنز.»

اجابت تيلا: «اخشى انني نمت كثيراً. ولكننا سنذهب في نزهة بعد تناول طعام الفطور، كما أن هناك غرفة أيضاً اريد ان اريك اياها.»

«مع الكثير من القصص عنها؟»

وعدت تيلا: «اجل الكثير من القصص.»

فكرت عندما وصلتا إلى الاسطبل ان كلنت ويكهام لم يخرج للنزهة قبل الفطور أيضاً.»

كان يصعب عليها ان تصدق ما حدث معها

ليلة الأمس وشعرت أن الأمر مجرد حلم.

هل حقاً صعد إلى غرفتها؟

هل طلب منها ان تصبح صديقته؟ وجدت انه يصعب عليها قول الكلمة حتى ولا لنفسها. فهي لا تعلم تماماً ما تعني. لم تفكر قط بالأمر حتى الآن، لكن كتبها اخبرتها ان زواج المسؤول عادة يُدبّر من اجل مصلحة بلاده فلذلك يختار سيدة له وهي تعني شيء خاص به وحده.

كان الواحد منهم لا يعطي سيدته التاج والحكم بل يعطيها قلبه. كانت تعلم ان هذا ما تطلبه كل امرأة من الرجل الذي تحبه.

ما زالت تذكر تلك الفتاة المسكينة التي كانت تعمل في لندن وعادت منها إلى قريتها. اذ كانت تعيش قصة حب كبيرة مع رجل اعتقدت انه احبها، وبنت عليه الآمال والأحلام بالزواج منه والاستقرار معه وتكوين اسرة سعيدة، إلا انه تركها وهجرها مما سبب لها صدمة عنيفة، عادت بعدها الى قريتها حزينة منطوية على نفسها. أصيبت باكتئاب حاد وفقدت الثقة بنفسها وبكل من حولها، وأخذت تذبل وتهزل ولم تعد تتكلم مع احد مطلقاً.

عندما علمت ام تيلا بالأمر اصيبت بالرعب ولم تصدق ان أموراً كهذه يمكن ان تحدث في العائلات المحترمة. أما أهل القرية فأخذوا يتكلمون عنها وينتقدونها، حتى أفاقوا ذات صباح ووجدها قد توفيت، من جراء الصدمة والحب الذي أضاع حياتها.

فكرت تيلا انهم قساة القلب وتمنت لو انها استطاعت ان تكلمها وتواسيها قبل وفاتها.

سألت نفسها: كيف استطيع التفكير بأمر كهذا؟

ثم تذكرت انها وعدته بمحاولة نسيان ما طلب منها. حتى ولو حاولت نسيان ذلك فهي مازلت تذكر احساسها برقته وجاذبيته عندما تحدث إليها.

أخذت تحث ماري ـ لي بالاسراع إلى الاسطبل. مرة ثانية لختارت كل واحدة منهن حصاناً لها، وسألت تيلا عن الحصان الذي امتطته البارحة. فلقد كانت تريد حصاناً مفعماً بالحيوية. تريد حصاناً يجعلها تركز على ما تفعل لا ان تتذكر كلنت ويكهام. فأخذت هي وماري ـ لي بالركض في الحقول الواسعة.

انطلقتا إلى غابة جديدة، لكن اليوم لم تر تيلا شيئاً باهراً، فبدلاً من هيلاس وحوريات الماء كانت تسمع صوت كلنت ويكهام وترى عينيه تناقشانها.

حاولت بصعوبة بالغة ان تتذكر قصص الفرسان والتنين التي تسلي ماري ـ لي.

فكل الفرسان التي كانت تصفهم يشبهون كلنت ويكهام. اما الأميرة التي انقذها وتريد ان تشكره لأنها ممتنة له بإنقاذها من التنين كانت هي نفسها.

قالت ماري ـ لي: «انها ليست بقصة جيدة.»

في طريق عودتهما إلتقتا فجأة برجلين يقفان تحت شجرة صنوبر، لاحظت تيلا انهما كان يترقبان وصولهما. وما ان وصلا قربهما حتى وقفا في طريقهما واقتربا منهما.

قال احدهما وكان يتحدث بلهجة اميركية واضحة: «هاي. هل هذه ابنة ويكهام التي ترافقك؟»

احست بأن هذا الرجل خطير وقالت بدون ان تفكر: «لا، ليست هي. انها الفتاة التي تبقى معها.»

قال بصوت بدت خيبة الأمل فيه واضحة: «هكذا اذن!»

ادركت تيلا ان ماري ـ لي ادارت بوجهها لتنظر اليها. وخوفاً من ان تقول الفتاة ما يناقض كلامها قالت بسرعة: «هيا تعالي، لنتسابق حتى الجسر.»

لم تكن ماري ـ لي تحتاج إلى تشجيع اكثر، فدفعت بحصانها نحو الامام وتبعتها تيلا.

بعد ان ابتعدتا مسافة لا بأس بها نظرت تيلا إلى الوراء. كان الرجلان يقفان في وسط الطريق يتحدثان.

في ذات الوقت كانا ينظران إلى ستافرلي كأنهما يتفحصان القصر جيداً. كانت متأكدة ان هناك خطراً ما.

كل القصص التي قرأتها عن الخطف، خاصة عن اولاد الاغنياء مرت ببالها. علمت ان ليس عليها اخافة ماري ـ لي. لكن في ذات الوقت عليها حمايتها من كل أذى.

عندما وصلتا إلى الاسطبل اخذ الحوذي منهما الحصانين. قادت تيلا بتأنٍ ماري ـ لي من باب خلفي إلى القصر، وذلك كي لا يراهما احد الرجلين في حال كانا يراقبان مدخل القصر.

سارتا في ممر خلفي حتى وصلتا إلى القاعة الكبرى. قالت تيلا لماري ـ لي: «اصعدي إلى الطابق العلوي يا عزيزتي، واطلبي من اميلي ان تبدّل لك ثيابك.»

سألتها ماري ـ لي: «ألست قادمة معي؟»

اجابت تيلا: «علي الذهاب إلى المكتبة لابحث عن كتاب اريد ان اريك اياه، فيه قصة جميلة كما انه مليء بالصور.»

لم تكن بحاجة لقول المزيد. صاحت ماري ـ لي: «اسرعي، فربما استطيع ان اسمع القصة قبل موعد الغداء.»

صعدت مسرعة وما ان تأكدت تيلا من عدم سماع خطواتها حتى قالت للخادم: «اين هو السيد ويكهام؟»

«انه في المكتب، يا آنسة.»

اسرعت تيلا الخطى في الممر آملة ان يكون السيد ويكهام بمفرده. أصغت لفترة على الباب، وعندما لم تسمع اصواتاً في الداخل فتحته ودخلت مسرعة.

كان كلنت ويكهام يجلس إلى مكتبه يكتب فلم ينظر اليها في الحال، حين شعر بوجودها نظر اليها ووقف على قدميه في الحال. سارت نحوه وهي تشعر بالخجل من ان تلتقي عيناها بعينيه.

قال هامساً: «تبدين جميلة جداً هذا الصباح.»

«لدي... ما اقوله لك.»

نظرت اليه وهي تتكلم. رأت في عينيه نظرات أمل وكأنه فكر انها غيرت رأيها.

قالت بسرعة: «انه بخصوص ماري ـ لي. اعتقد انها في خطر.»

تساءل كلنت ويكهام: «في خطر؟ لماذا؟»

اجابت تيلا: «كان هناك اميركيان يقفان في وسط الطريق. وسألني أحدهما اذا كانت ماري ـ لي ابنتك.»

«ماذا اخبرتهما؟»

«اخبرتهما انها فتاة صغيرة تبقى معها.»

ضحك كلنت ويكهام: «كيف، بما تبدين عليه، لديك كل هذا الذكاء والرأي السديد.»

قالت تيلا: «اني خائفة... ربما استطاعا ان يخطفا ماري ـ لي.»

بدا الغضب واضحاً على وجهه، فتنهد وقال: «كنت اعتقد ان هذه الأمور مستبعدة هنا في انكلترا. كنت اؤمّن لها حماية كاملة في المزرعة وفي نيويورك. كان هناك حراس ليلاً نهاراً.»

قالت تيلا: «هذان الرجلان.. ربما تبعاك عبر المحيط الاطلسي.»

وافقها كلنت ويكهام: «قد يكون ذلك صحيحاً. هذه مشكلة المرء حين يكون غنياً.»

«ماذا علينا فعله... بخصوص ماري ـ لي؟»

«علينا هي الكلمة الصحيحة. نحن معاً في ذلك، وبالطبع انت تعلمين انني اعتمد عليك في ذلك.»

اجابت تيلا: «سافعل... أي شيء تطلبه مني.»

خافت ان تكون كلماتها غير واضحة فأردفت بسرعة: «علينا... ألا ندعها تخاف.»

«لا، بالطبع لا. سأؤمن لها حماية داخل القصر، وعندما تخرجان للنزهة عليكما بأخذ حوذي معكما وبالطبع سيحمل معه مسدساً.»

وافقت تيلا وقالت: «ارغب في ان احمل واحداً بنفسي.»

سألها: «هل تعرفين كيف تطلقين النار؟»

«علمني ابي ذلك عندما كنت صغيرة.»

سار نحو المكتب وفتح درجاً صغيراً. قال: «هذا احد المفضلين لدي كان بين اوراقي، ويدهشني ان اضعه في مكتب انكليزي وبيت انكليزي كذلك.» كان مسدساً صغيراً اصغر من أي قطعة سلاح شاهدتها تيلا.

اعطاها اياه كلنت ويكهام مع صندوق من الخرطوش وقال: «ارجو ألا تضطري إلى استعماله أبداً.»

قالت بصدق: «هذا ما آمله أيضاً. لا استطيع ان.. اتخيل.. ان نوعاً من هذه الاشياء تحدث... في ستافرلي.»

قال كلنت ويكهام: «ولا انا. لذلك اضع اللوم على نفسي لأنني لم آخذ احتياطات كافية قبل الآن.»

كان يبدو غاضباً، فقالت تيلا بسرعة: «ليس عليك ان... تقلق. انه أمر نادر ان يخطف... أحد... في انكلترا.»

«لا ارغب اطلاقاً ان تكون ابنتي التجربة الأولى لذلك. شكراً لك على تحذيرك لي قبل ان يحدث أي مكروه.»

احمر وجه تيلا لسماعها كلامه. وشعرت بالشوق في عينيه فابتعدت مسرعة: «علي بالذهاب والاستعداد للغداء.»

اجاب: «ستتناولان طعام الغداء معي في غرفة الطعام.»

بدأت بالقول: «لا... اعتقد... انه تصرف خا...»

عندما رأت تعابير عينيه تذكرت ان الليلة ستقام حفلة كبيرة، وبذلك لن يتمكنا من رؤية بعضهما حتى نهاية عطلة الاسبوع، فقالت: «حسناً، ولكننا لن نتأخر.»

ابتسما وعندما التقت عيناهما وجدا انه من الصعب عليهما ان يتحركا.

سارت تيلا نحو الباب، ثم ركضت في الممر وكأنها تهرب من نفسها. لكنها كانت تمسك بالمسدس في احد جيوب ثوبها.

الفصل السادس

شعرت تيلا عندما عادوا من نزهتهم على الخيل هي وماري ـ لي والحوذي أنها أخطأت.

لم يكن هناك من سبب لتعتقد أن الأميركيين اللذين تكلما معها ليسا سائحين.

كانت تشعر بالحرج لأن الحوذي يحمل مسدساً.

المسدس الصغير الذي اعطاها اياه كلنت ويكهام كان في جيب سترتها أيضاً.

قالت لنفسها: كنت أبالغ كثيراً.

في الوقت ذاته كانت تعرف أن احساسها لا يخطىء.

مع ذلك لم يكن هناك اي اشارة تدل على وجود الأميركيين لا في الممر ولا في الموقف أو حتى في كل تلك الأرض الشاسعة التي مروا بها.

لم تذهب تيلا إلى الغابات الجميلة بسبب وجود الحوذي.

كان أمراً مزعجاً أن تفكر كذلك، لكنها كانت تستمتع بركوبها حصاناً رائعاً.

لم تُفاجأ ماري ـ لي بوجود شخص معهما.

لكن لدى عودتها إلى القصر قالت: «أعتقد أنه أمر مسلي أكثر يا آنسة ستيفنز، عندما نذهب بمفردنا، كما أنني أحب الذهاب إلى الغابات.»

أجابت تيلا: «أعلم ذلك يا عزيزتي، لكن والدك فكر أنه من الأفضل أن يكون لدينا رفقة لفترة قصيرة على الأقل.»

لم تكن ماري ـ لي مهتمة للأمر.

ما أن وصلتا إلى غرفة الدرس حتى أخذت ماري ـ لي تتحدث عما سيفعلانه بعد الظهر.

علمت تيلا من اميلي انهما غير مدعوتان للغداء في قاعة الطعام. تفاجأت بذلك حتى علمت أن باتريك اوكلي قد وصل.

فهمت انه وصل باكراً ليتأكد من حسن سير الأمور لحفلة المساء.

توقعت ان يصل روبي فيما بعد.

فكرت بما ان باتريك هنا فمن الحكمة ألا يدعوها كلنت ويكهام هي وماري ـ لي لمشاركته طعام الغداء.

كانت تدرك انه يصعب عليهما ان يخفيا شعورهما، كما ان الايرلندي شديد الملاحظة.

فكرت انه من الصعب عليها وعلى ماري ـ لي ان يتنقلا في ارجاء القصر وكل هذه الضيوف فيه. لذلك أخذت ماري ـ لي إلى البرج حيث قررت أن تبدأ هناك من القبو..

ارتعدت ماري ـ لي من الأماكن المظلمة الموجودة تحت القصر وهي موجودة هناك منذ القرن السادس عشر.

كانت تيلا تعرفها جيداً وتعرف كل ما فيها.

بعد ذلك صعدتا الى الطابق الأول، وقصدتا المكتبة.

تذكرت تيلا مكان وجود عدد من القصص المسلية.

كانت تأخذ كتاباً تلو الآخر وكانت ماري ـ لي تفرح كثيراً بالصور.

وضعتها جانباً لتأخذها معها إلى غرفة الدرس.

قالت الفتاة معترضة: «مازال هناك الكثير من الكتب لم ارها.»

أجابت تيلا: «هناك الكثير من الأيام والشهور والسنوات لنرى كل ذلك.»

ادارت ماري ـ لي رأسها باتجاه واحد وقالت: «ربما أبي سيعود إلى أميركا، إلى المزرعة، وهناك لا يوجد كتب كهذه.»

اقترحت تيلا: «سنطلب منه أن يشتري لك مثلها، او ربما اذا كنت مهتمة جداً لهذه، فيمكنك استعارتها.»

أجابت ماري ـ لي: «حسناً، وبذلك تقرأينها لي كلها.»

شعرت تيلا بالقلق من كلام ماري ـ لي.

هل من المحتمل انها ستعود إلى أميركا مع كلنت ويكهام وابنته عندما يعودان إلى بلادهما؟

عندما فكرت بالأمر علمت أن ذلك لن يحدث أبداً.

الذي كان يدور ببالها ليس الذهاب معه إلى أميركا، وانما هل لديها القدرة على البقاء في ستافرلي؟

كانت تخاف من فكرة ان تضطر للمغادرة وتركها بيتها إلى الأبد. علمت أن كل ما تفكر به مجرد سخافة.

فكيف تشعر بكل هذا الشوق لرجل التقت به منذ فترة قصيرة.

رجلٌ أهانها بطريقة واضحة؟

لكن رغم ذلك لأنه اعتذر منها واحترم رأيها، فهي ليست غاضبة منه بتاتاً.

قالت وهي تتنهد: انه أميركي وهو لا يفهم كيف يتصرف.

كانت تعلم أنها تخالط نفسها.

* * *

بدلت اميلي ثياب ماري ـ لي والبستها أجمل وبالطبع أغلى الفساتين.

كانت تقول وهي تسرح لماري ـ لي شعرها: «هناك أكثر من خمس وعشرون مدعو، وكل الغرف اصبحت جاهزة لاستقبالهم.»

كان من الصعب على تيلا ألا تختلس النظر عند وصولهم كما فعلت اميلي.

تابعت اميلي: «انهن ذكيات. الريش على قبعاتهن والألماس على أذانهن.»

سألت تيلا: «هل عرفت أياً منهن.»

أجابت اميلي: «فقط الدوقة، أعتقد أنها دوقة مالشستر.»

شهقت تيلا بامتعاض، مع انها كانت تعلم انه لا بد من وجود الدوقة هناك.

حاولت ألا تتكلم، ولكن كان يبدو أن الكلام يخرج لوحده من بين شفتيها.

«هل اصطحبت الدوقة... ابنتها... معها؟»

«آه، طبعاً. الآنسة فيفان شستر، وهي جميلة جداً.»

هذا ما كانت تتوقعه بالضبط.

حاولت أن تتجاهل دقات قلبها المضطربة.

دخل خادم الى الغرفة يحمل علبة الى ماري ـ لي.

قالت ماري ـ لي بشوق: «أهي لي؟ ما الذي يمكن أن يكون فيها يا آنسة ستيفنز؟»

ابتسمت تيلا: «لا فكرة لدي. افتحيها لتري.»

علمت أنها من أحد الضيوف لأنها لم تصل بالبريد وكانت مزدانة بالشرائط الملونة.

فتحت ماري ـ لي العلبة ووجدت في داخلها صندوقاً موسيقياً جميلاً جداً.

ما أن فتحت الغطاء حتى بدأت الموسيقى تسمع.

لاحظت تيلا عندما فتحت الصندوق أن هناك ورقة بداخلها. عندما التقطتها رأتها مرسلة اليها. عندها علمت أن الهدية قد أرسلها باتريك.

فهي تميز خط يده.

بينما كانت ماري ـ لي تلعب بالصندوق، تفتحها وتغلقها لعشرات المرات، قرأت تيلا الرسالة وكانت قصيرة جداً.

«عزيزتي اوتيلا. هذه الهدية لماري ـ لي. انه مهم جداً ان يتم تسليمها لها، بالسرعة القصوى.

المخلص باتريك.»

حدقت تيلا بالرسالة. عندها علمت أن الهدية مجرد طريقة ذكية لتنبيهها إلى عملها.

بهذه الطريقة لن يعلم أحد أنه يتصل بها.

لقد نسيت فعلاً على ما اتفقت معه عليه، بسبب ان هناك الكثير لتفكر به.

لم تتذكر قط ان عليها التجسس على كلنت ويكهام.

شعرت بالغضب فوراً من الفكرة لذلك. كانت تريد أن تخبر باتريك أن يدعها وشأنها.

عندها تذكرت أنه هددها وهي وافقت على ما يريد.

كان قد ذكر أن الشخص المجهول الذي أنقذ ستافرلي، هي وأخيها، قد يصبح عدواً شرساً.

فكرت باكتئاب: علي أن أجد له شيئاً ما.

كانت تفكر ماذا ستفعل عندما دخل الخادم وقال:

«السيد ويكهام ينتظر الآنسة ماري ـ لي في قاعة الاستقبال.»

سألت ماري ـ لي: «هل أستطيع أن آخذ الصندوق معي؟»

أجابت تيلا: «طبعاً، إذا كنت ترغبين في ذلك، وتذكري أن تشكري السيد اوكلي عليها.»

ابتسمت ماري ـ لي وقالت: «سأشكره بكل تهذيب.» ثم نظرت إليها وأضافت: «هل تأتين معي وتشكرينه أنت أيضاً؟»

أجابت تيلا: «أعتقد أن والدك يفضل ان تكوني بمفردك.»

أجابت ماري ـ لي: «لن يكون بمفرده مع كل هؤلاء. كما انهم سيجعلون مني قصة فقط لاسعاده.»

ضحكت تيلا وفكرت أنه لأمر مسلي أن تكون الطفلة بهذا الذكاء، لتدرك أن كثيراً من الملاطفة لها هي حقاً طريقة للتودد إلى والدها.

قالت بصوت واضح: «هيا انزلي الآن. كوني طيبة ومهذبة. واذا سمعت ملاطفة ما، فقط قولي شكراً لك.»

قالت ماري لي: «اعتقد ان ابي سيقول ذلك، فهو يفرح بسماع أي اطراء يقال لي.»

ابتسمت تيلا وقالت: «وأنا أيضاً. لذلك تذكري ان تخبريني كل شيء عندما تعودين.»

«سنتسلى أكثر لو كنت تأتين معي.»

ركضت إلى الباب، والخادم الذي كان بانتظارها نزل وراءها على الدرج.

أغلقت تيلا الكتاب الذي كانت تتصفحه مع ماري ـ لي، وذهبت إلى غرفتها.

كانت تفكر أن ابنة الدوقة التي أحضرها باتريك إلى ستافرلي ستبقى تحت أنظار كلنت ويكهام كل السهرة.

قالت لنفسها انه أمر سخيف ان تمضي الوقت تفكر به وبما قاله.

عليها أن تطرد كل هذه الأفكار من رأسها.

فالعذر الوحيد لديه انه اميركي، لذلك هو لا يعرف كيف يتصرف السيد النبيل.

اقتربت من النافذة لتراقب النافورة.

كانت الشمس تغيب في وهج من الجمال وتعكس انوارها على الماء.

كان منظراً رائعاً شعرت انه أصبح جزءاً منها ومن حبها لستافرلي.

فكرت: مهما حدث، مهما قال أو سيقول، فلقد اعطانا الكثير، الكثير جداً حتى اننا لا نستطيع نسيان ذلك.

* * *

بعد أن ذهبت ماري ـ لي إلى سريرها. أعطت اميلي وصفاً كاملاً لتيلا عن السيدات والفساتين المميزة للعشاء.

بعدها فكرت تيلا أن عليها الذهاب إلى النوم باكراً.

وبينما كانت ترتدي قميص النوم خطرت فكرة على بالها.

انها ليلة جيدة للحصول على بعض المعلومات لباتريك.

استلقت على وسادتها، محاولة التفكير كيف ستجد أي شيء له قيمة لدى باتريك.

لم تكن تصدق أن أشياء مهمة تفضح أعمال كلنت ويكهام ستكون مكشوفة أمام الجميع.

لا بد أنها مقفلة في خزائن حديدية.

قالت لنفسها: لا أدري عما سأبحث بالتحديد.

لكن، ربما سيكون هناك شيئاً ذو أهمية في احد ادراج المكتب. ربما رسالة موجهة إلى أحد قد تفي بالغرض بالنسبة لباتريك.

حدثت نفسها مجدداً وهي تتذمر: أعتقد، أنه علي أن ألقي نظرة.

هذه الليلة هي مناسبة تماماً لأن الجميع سيذهب للنوم باكراً.

لقد علمت من اميلي ان مساء الغد سيقام احتفالاً كبيراً، وستحضر فرقة اوركسترا من لندن لاحياءها.

وغداً سيتأخر الجميع في الذهاب إلى النوم.

أما الليلة، فالسفر بالقطار واسبوع كامل من العمل يجعل الجميع في حاجة إلى الراحة.

قالت لنفسها: سأنتظر حتى يصبح الجميع في غرفهم، عندها اذهب إلى هناك، وإذا لم أجد شيئاً، فعلى باتريك ان يتقبل الأمر بأنني فشلت في المهمة.

التقطت كتاباً كان بجانبها وبدأت بقراءته.

كانت تعلم انها لو استسلمت للنوم فلن تستيقظ قبل الفجر، وعندها سيفوت الأوان.

انتظرت حتى تجاوزت الساعة الواحدة ليلاً.

وبسبب أنها كانت تشعر بالنعاس قررت عدم الانتظار اكثر.

التقطت روب النوم الذي وضعته لها اميلي على الكرسي. كان لأمها، وهو أجمل بكثير من كل ما تملك. فقد كان

مصنوعاً من الساتان والدنتيلا، ومزين بالشرائط الحريرية.

ارتدته وسارت نحو الباب قبل أن تتردد.

فتحت درجاً صغيراً في طاولتها، وأخذت المسدس الذي أعطاها إياه كلنت ويكهام.

كانت تعلم تماماً أنها لن تحتاجه أبداً.

لكنه قد يتساءل لمَ نزلت إلى الطابق الأول في منتصف الليل.

فان حدث ذلك تستطيع القول انها سمعت صوتاً في القصر وذهبت لتتحقق من الأمر.

وعلى كل حال، إذا سمع كلنت ويكهام بالأمر، فانه سيتوقع انها أخذت المسدس معها.

قالت لنفسها: علي أن أكون دقيقة تماماً، فانا معرضة لأي امر مفاجيء؟

وبسبب أنها تعرف القصر تماماً كانت تستعمل الممرات التي لا يمكن أن ترى فيها، ومع ذلك كانت ترجو ألا يراها أحد.

كان الأمر في الواقع ضربة حظ في أن تعرف طريقها.

فلقد كانت هذه الممرات غير مضاءة كالبقية.

كانت تسير على ضوء القمر، وهذا ما ساعدها على عدم الوقوع على الدرج الضيق.

وصلت إلى الطابق الأرضي بأمان.

الآن هي في نهاية الممر وقرب المكتبة.

لم يكن هناك إلا القليل من النور مازال مضاءاً، وهذا يعني أن الجميع في غرفهم بما فيهم كلنت ويكهام.

بسرعة وبهدوء ركضت إلى غرفة المكتب.

فتحت الباب بكل هدوء وكما توقعت كانت الغرفة غارقة في الظلام.

كان هناك نور خافت مازال يشع من موقدة مطفئة. مع أن الطقس كان دافئاً في النهار، لكنهم كانوا لا يزالون يشعلون المواقد في الليل في كل غرفة.

كان من السهل عليها أن تشعل شمعدان من ثلاثة شموع كان على المكتب.

ما ان عادت إلى هناك حتى شعرت وكان أبيها هناك ويبدو جذاباً جداً.

كان يراقب كومة من الفواتير أمامه التي كان غير قادر على دفعها.

عندها أجبرت نفسها بعناد على عدم العودة إلى الماضي.

كل شيء قد تغير حتى الغرفة نفسها والمكتب أيضاً.

قالت لنفسها متألمة: لا بد من وجود شيء ما في أحد الادراج. وما ان امسكت بيد أحد الأدراج حتى سمعت فجأة صوتاً خفيفاً.

أجفلها الصوت، توقفت تستمع.

سمعت أصواتاً أخرى، ادركت أن هناك شخصاً وربما أكثر يقتربون من باب المكتب.

نظرت حولها يائسة لتجد مكاناً تختبيء فيه.

ما أن فتح الباب حتى هرولت نحو الستائر التي كانت تغطي النافذة، وانزلقت وراءها بسرعة.

تسلقت حافة الشباك الذي كان مغطى بالستائر السميكة.

كانت أنفاسها تتلاحق من الخوف.

في تلك اللحظة، لم تكن متأكدة أنها ستبقى واقفة هناك.

شعرت وكأن دقات قلبها ستسمع لكل من يدخل الغرفة.

ثم أغلق الباب، وكان هناك سماع خطوات، الكثير من الخطوات، تتنقل فوق السجاد.

قال صوت بلهجة أميركية: «إذا كنت تعلم ما هو في مصلحتك، فلن نضيع الوقت.»

وضعت تيلا يديها على جوانب الستارة أمامها وابعدتهما لمسافة قصيرة جداً.

لم تكن تتخيل ما الذي يحدث.

لكنها كانت تشعر أن الصوت الأميركي مألوف لديها.

تجرأت أن تختلس النظر من خلال الستارة وشاهدت بعين واحدة ما أرعبها، وشعرت أن ليس يداها فقط كانتا ترتجفان بل جسدها كله.

دُفع كلنت ويكهام إلى الكرسي وراء المكتب وكان هناك رجلين يقفان وراءه.

تعرفت على أحدهما. كان ذلك الرجل الذي تكلم معها ذلك الصباح.

رأت الآن أنه وذلك الرجل برفقته يحمل كل منهما سكينا طويلاً بيده.

كان وجهيهما ينذران بالشر تحت ضوء الشموع.

قال كلنت ويكهام: «لقد قلت لكما لا أملك شيئاً هنا، كل شيء له أهمية موجود في الخزانة الحديدية في لندن، أو بين يدي محاميّ.»

قال أحد الرجلين: «إذا كانت هذه هي الحقيقة، ستفتح هذا الدرج بالمفتاح الذي وجدناه في غرفتك، وإذا لم نجد

شيئاً كما تقول، ستكتب رسالة إلى محاميك تخبره فيها، أن يعطينا كل ما نطلبه.»

قال الرجل الآخر: «وفي هذا الوقت، سنضعك في مكان لا يجدك فيه أحد.»

سأل كلنت ويكهام: «وإذا رفضت ذلك؟ هل تنويان قتلي؟ في أي حال، أؤكد لكما أن القانون الانكليزي سيحكم عليكما بالاعدام شنقاً، وهي طريقة مخيفة للموت.»

كان يتكلم بسهولة وسخرية معاً مما جعل تيلا تتعجب من رباطة جأشه.

لم يعجب كلامه المهاجمين فضحكا وقال أحدهما: «لا. نحن لا نرغب بقتلك أيها الثري، فنحن نكيان جداً. ولكن في كل مرة ترفض أن تفعل فيها ما نريد ستشعر برأس هذا السكين يغوص في جسدك. وهذا سيؤلمك أكثر بكثير مما يؤلمنا.»

ضحك وكان صوته مليئاً بالشر.

نظرت تيلا إليه وعلمت أنه سعيد جداً بأن كلنت ويكهام بكل أهميته وقوته بين يديه.

كان يرغب في تعذيبه وجرحه.

كان كلنت ويكهام يرتدي قميصاً أبيض اللون وبنطالاً اسود. لا شك أنه أرخى ربطة عنقه قبل أن يظهرا في غرفته لتهديده.

ادركت تيلا أنه آخر من صعد إلى الطابق العلوي بعد ضيوفه. لأنه أميركي ومعتاد على تدبير أموره بنفسه، لذلك لم يطلب خادمه الخاص كما كان يفعل والدها.

لا شك أن الأميركيين قد دخلا إلى القصر في وضح

النهار. فقد كان من السهل عليهما فعل ذلك. واختبأ في غرفة السيد طوال النهار.

شعرت أنه يتساءل ماذا سيفعل، وان عليها ان تنقذه.

كانت قد نسيت أنها تحمل مسدساً في جيبها.

تحركت ببطء كي لا يشعر بها أحد وانزلت يداً من على الستارة وسحبت المسدس من جيب ثوبها.

قال أحد الرجال وقد فقد صبره: «هيا تحرك. لن نمضي هنا الليل كله. افتح الدرج والا فعلت ذلك بنفسي. سأجرحك لأنك تسبب لي أعمالاً اضافية.»

أجاب كلنت ويكهام: «لا يوجد فيه ما يهمك، إذا كنت تتوقع أمراً ما.»

التقط رزمة من المفاتيح كان الأميركي ممسكاً بها.

أدركت تيلا وهي تراقبهم أن هناك الكثير من المفاتيح مما أربكهم في معرفة ايهم الخاص بالدرج.

كان يلزمها الكثير من الوقت لمعرفة المفتاح الصحيح.

كان على كلنت ويكهام ان ينحني إلى الأمام كي يضع المفتاح داخل القفل.

وما أن فعل ذلك حتى أصبح جسد الرجل الذي وراءه أمامها مباشرة، وكان يرفع في يده سكيناً.

علمت بحدسها ومن تعابير وجهه أنه كان ينوي أن يدخل السكين في ظهره.

ما أن شعرت بالخطر حتى رفعت مسدسها... كان والدها قد علمها كيف تصيب أهدافها مباشرة.

سيكون عملاً خاطئاً إذا قتلت الرجل، وطبعاً ستتسبب في فضيحة.

لذلك صوبت بالتحديد على يده الممسكة بالسكين.

أدخل كلنت ويكهام المفتاح في القفل.

وما أن فعل ذلك حتى أطلقت تيلا النار.

بدا الانفجار وكأنه دوي اصابهم.

صرخ الأميركي من الألم ووقع ارضاً.

أخذ صديقه يحدق به متعجباً، فكانت الفرصة أمام كلنت ويكهام للتصرف بسرعة.

قفز عن كرسيه ولطم الرجل لطمة اوقعته ارضاً ورمت بالسكين جانباً.

التقط كلنت ويكهام السكين من فوق جسده وذهب إلى النافذة.

قال هامساً: «أعطني المسدس، وأبقي تماماً في مكانك.»

دفعت تيلا بالمسدس من خلال الستارة فأخذه منها.

ما أن فعل ذلك حتى فتح الباب.

اسرع الخادم الليلي يتبعه الرجل الذي يحرس القصر في الدخول إلى المكتب.

كان الرجل الذي اصابته تيلا منطرحاً على الأرض يئن ويمسك بيده المصابة، والسكين الذي هوجم به كلنت ويكهام كان على بعد خطوات منه.

قال الحارس: «ما الذي يحدث هنا يا سيدي؟ لقد سمعنا دوي طلق ناري.»

قال كلنت ويكهام: «هذان الرجلان كانا يهدداني.»

قال الحارس: «انه أمر مريع، سيدي، آه لا أدري كيف دخلا الى المنزل.»

لم يكن كلنت ويكهام يستمع إليه، بل قال إلى الخادم: «أبحث عن بارتون وبعض الخدم ايضاً بأسرع ما تستطيع وأخبرهم أن يحضروا حبلاً معهم.»

«حسناً يا سيدي.»

ركض الخادم مسرعاً لتنفيذ الطلب.

قال الرجل المجروح: «ساعدني. أريد طبيباً. إني أتألم! ساعدني.»

لم يجب كلنت ويكهام، بل سار نحو المدفأة مديراً له ظهره.

قال الحارس: «هذا ما يستحقه سارق مثلك. ولكن الذي أريد معرفته كيف دخلا إلى القصر، كي لا يحدث ذلك ثانية!»

قال كلنت ويكهام: «سأعمل على ألا يحدث ذلك ثانية.»

مرت بضع دقائق حتى نهض الخدم من نومهم واتوا بسرعة إلى المكتب.

تبعهم بارتون ينظر مستغرباً وما زال مرتدياً ملابس النوم.

اوثق الخدم الرجل الآخر حسب تعليمات كلنت ويكهام، أما الرجل الجريح فقد حمله الخدم وخرجوا به.

كان ما زال يصرخ من الألم ويطلب طبيباً.

قال كلنت ويكهام: «احجزهما جيداً حتى الصباح، عندها سنرسل وراء الشرطة لمعاقبتهما بتهمة السطو.»

قال بارتون: «حسناً يا سيدي. كم أنت محظوظ لأنك اكتشفتهما قبل أن تصاب بأذى.»

قال كلنت ويكهام: «أجل. بالطبع.»

نظر إلى الغرفة حيث كان السكين الآخر مازال على

الأرض. وقال لبارتون: «سنحتاج لهاتين السكينتين كبرهان. انني متأكد من أن سيد ترانت سيهتم بكل هذه الأمور صباحاً. إنه عمل خاطىء أن يعلم أحد من الضيوف بما حصل الليلة. فقد يخافون.»

«حسناً يا سيدي. سأطلب من الخدم ان لا يتفوه أحدهم بكلمة عن الموضوع. وكما تقول سيسلم السيد ترانت هذان المجرمان إلى الشرطة.»

قال كلنت ويكهام: «شكراً لك يا بارتون. أنا متأكد بأنني استطيع الاعتماد عليك.»

أجاب بارتون: «بالطبع يا سيدي.»

سار نحو الباب ثم تردد وقال: «أتريد أي شيء آخر؟»

أجاب كلنت ويكهام: «لا. لا شيء. شكراً لك. سأصعد إلى غرفتي بعد دقائق. أشعر انه وقد تم القبض على المجرمين فسنتمكن من النوم جميعاً براحة.»

أجاب بارتون: «نعم. بالطبع يا سيدي.»

خرج من المكتب واغلق الباب وراءه بهدوء.

انتظر كلنت ويكهام حتى تأكد تماماً أن بارتون لن يعود أدراجه.

عندها سار نحو النافذة وهو يبتسم.

سحب الستائر جانباً ليجد تيلا واقفة كل هذا الوقت على حافة النافذة.

نظر إليها، شعرها الجميل كان يتدلى على كتفيها.

كانت شاحبة قليلاً وما زالت عيناها تلمعان بالخوف مما حدث.

مع ذلك ابتسمت له عندما التقت عيناهما.

كانت تنظر إليه، تريد اخباره كم هي فرحة لأنه لم يصب بسوء.

في ذات الوقت، علمت أن الكلام يبدو بلا جدوى.

لقد انقذت حياته، وهذا هو المهم.

لفترة طويلة بقي ينظر إليها.

شعرت أن الغرفة تدور بهما.

لم يكن هناك من مجال للتفكير في شيء آخر.

شعرت وكأنه أخذ منها قلبها وروحها معاً.

كما أنه أخذ أيضاً ارادتها فهي لم تعد تستطيع التفكير.

كل الذي تعرفه أنها شعرت وكأن القمر والنجوم قد زحفا إلى داخلها.

اشعتهما كانت تشع في داخلها كاللهب.

ادركت ان ما تشعر به ليس عادياً. إنه الحب، الحب الحاكم والذي لا يقاوم.

كان حباً مختلفاً عن كل ما تخيلت، وعن كل ما قرأت أو حتى عن كل ما رأته في أحلامها.

كل الذي تعرفه انها أصبحت أسيرة حبها.

الفصل السابع

بعد فترة قال: «اعتقد يا عزيزتي أنه عليك الذهاب إلى غرفتك.»

لم يتكلما لفترة طويلة. شعرت تيلا رغم ذلك انهما قالا الكثير لبعضهما من غير كلام.

شعر باضطرابها فقال لها: «احبك. احبك. اذهبي إلى غرفتك وفكري بي.»

وقفت تنظر اليه وهي تشعر بصعوبة ان تفهم ما يجري وان تعود من حيث السعادة التي اخذها اليها.

كانه شعر بارتباكها فمشى معها بها نحو الباب، وقال: «الذي شعور انك تستطيعين العودة إلى غرفتك من دون ان يراك احد. هل تقدرين على ذلك؟»

أومأت بالايجاب. وقف ينظر اليها وهي تبتعد في الممر.

اختفت تدريجياً في الظلام، وصعدت في الممر الضيق الذي نزلت منه، حتى وصلت إلى الطابق العلوي من خلال غرفة الدرس.

دخلت إلى غرفتها، عندها فقط شعرت وكأنها عادت إلى الواقع. كانت الستائر مفتوحة كما تركتها. اقتربت من النافذة ونظرت إلى نافورة المياه، بدأت النجوم تختفي في السماء، وعلمت ان بعد فترة قصيرة ستتسلل خيوط الفجر من وراء الاشجار.

كل شيء كان يبدو وكأنه جزء من حبها. الحب الذي ينبض في كل وجودها.

عندها فجأة، وكانبلاح الفجر علمت انها لا تستطيع البقاء في ستافرلي. كانت خائفة من حبها لكلنت.

لم يكتف مرة واحدة بالقول انه يحبها، بل كرر ذلك مرات عديدة. وفهمت من نظراته العميقة كم هو قوي وصادق هذا الحب. لكن، وفي هذه اللحظة بالذات، تنام ابنة الدوقة في احدى غرف القصر وهي من ستعطيه سلالة حاكمة يطمح اليها.

علي... الذهاب.

لم تقل تيلا هذه الكلمات، لكنها شعرت وكأن امها تقولها لها.

هي تحب كلنت.

لكن كيف تستطيع ان تقوم بعمل يجعل اباها وامها يخجلان بها؟ ابتعدت عن النافذة خائفة من ان يسلبها هذا الجمال كله ارادتها. ارتدت بسرعة أول ثوب اخذته من خزانة الثياب.

عقصت شعرها إلى الوراء وسارت على رؤوس قدميها حتى وصلت إلى غرفة الدرس. جلست إلى الطاولة المليئة بالكتب التي احضرتها من المكتبة البارحة.

كانت هناك رزمة من الورق، اخذت واحدة وكتبت بسرعة.

«عزيزتي اميلي.

علي الذهاب إلى البيت لأمر عائلي طارىء. ارجوك اهتمي كثيراً بالآنسة ماري ـ لي. سأرسل من يأخذ اشيائي الخاصة بي. شكراً لمساعدتك.

تيلا ستيفنز.»

طوت الورقة وكتبت عليها بخط كبير اميلي حتى يلاحظها الجميع.

عادت إلى غرفتها، والتقطت حقيبة يدها التي فيها كل المال الذي احضرته معها إلى ستافرلي.

نزلت إلى الطابق الأرضي ومنه إلى الخارج. كانت تعلم انها لا تريد ان يراها أحد تغادر. ابتعدت عن الامكنة التي قد يراها فيها أحد، في حال كان هناك من يراقب من النوافذ.

وصلت إلى الموقف وهي تسير في ظل الاشجار. كان داورهاوس على الجانب الآخر منه، وبعيداً عن القرية وتحيط به حديقة واسعة.

كانت تيلا متأكدة من أن كوبلن وزوجته نائمين في هذا الوقت. دخلت من احدى النوافذ التي كانت تعلم انها بحاجة لترميم.

عندما اصبحت في البيت سألت نفسها اذا كانت فعلت الافضل. مع هذا كانت تشعر بشوق جارف نحو كلنت.

قالت من كل قلبها: احبك... احبك... لكن لا استطيع... ان ادمر حبنا... بالتصرف... بأي امر خاطىء.

وجدت طريقها نحو الدرج وصعدت إلى الطابق العلوي.

وصلت إلى غرفتها ووجدتها كما تركتها سابقاً.

عندما ازاحت الستائر دخل النور لترى ثيابها القديمة مرمية على الكرسي.

كان حذاؤها القديم الذي كانت تنتعله في الحديقة تحت الكرسي.

قالت لنفسها: لا شيء يهم. لا شيء يهم.

بصعوبة استطاعت ان ترتدي ثياب النوم وتذهب إلى سريرها.

أخذت تبكي وتبكي فوق وسادتها حتى اصيبت بالارهاق. قالت وهي تتنهد احبه.. احبه.

بقيت تردد هذه الكلمة حتى نامت.

نهضت تيلا وظنت انها سمعت ماري ـ لي تناديها. عندها تذكرت أين هي وانها قد هربت بعيداً.

استلقت لفترة طويلة، متنبهة ان الظهر قد اقترب.

كانت اشعة الشمس تتسل على جوانب الستائر. لم تكن بحاجة للسرعة، فلا احد يعلم انها هنا، ولا احد سيبحث عنها.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة عندما تركت تيلا غرفتها. فوجئت بها عائلة كوبلن، إذ قالا لها: «عمت صباحاً يا آنسة اوتيلا. من أين أتيت؟»

أخذت تيلا تشرح لهما الأمر قائلة: «اتيت هنا مساء البارحة. واني ارغب في الاختباء.»

قال السيد كوبلن: «تختبئين؟ ممن؟ ولماذا؟ احب ان اعرف.»

أجابت تيلا: «من كل الناس. واريدكما ان تعداني انكما لن تخبرا أحداً بوجودي هنا. واذا سأل احد عني، قولا ليس لديكما أدنى فكرة عن ذلك.»

سأل كوبلن ببطء: «انت في مشكلة ما. اليس كذلك يا آنسة اوتيلا؟»

اجابت تيلا: «لست ادري. كل الذي اريده ان اختبىء هنا. واعتقد الآن... انني جائعة.»

قالت السيدة كوبلن على الفور: «أحضر لك شيئاً ما يا

آنسة اوتيلا. أنت تبدين شاحبة قليلاً. لم تكوني ابداً هكذا.»

تركتها تيلا تعمل في المطبخ وذهبت إلى غرفة الجلوس. كانت تبدو موحشة بلا زهور.

تساءلت اذا كانت بأمان ان هي خرجت إلى الحديقة والتقطت بعض الازهار. عندها سألت نفسها: بأمان؟ ممن؟

سيدرك روبي انها هنا اذا علم بغيابها، ولا شك ان باتريك سيغضب. لكن ما من أحد سيخونها.

وبطريقة آلية، رفعت الغبار عن الغرفة. كانت في الواقع تنتظر سيد كوبلن أن يخبرها ان الغداء جاهز.

لم تنتظر طويلاً فلقد احضرت لها السيدة كوبلن البيض المقلي لأنها اسرع ما يمكن تحضيره.

كما حضرت السلطة من خضار مزروعة في الحديقة. علمت تيلا ان كوبلن يهتم بها وانه يبدو شاباً اكثر مما كان يبدو عليه سابقاً.

اكلت تيلا الطعام والزبدة والحلوى، وتذكرت كم كانت تكره ذلك في صغرها. اما الآن، ولأن السيدة كوبلن طاهية ماهرة فانها تحب هذه الحلوى.

قالت لكوبلن عندما انتهت: «شكراً لك.»

أجابها السيد كوبلن: «يسعدنا ان تعودي إلى هنا، يا آنسة اوتيلا. كنا نشعر بالوحدة من دونك.»

ابتسمت تيلا وخرجت من الباب الخلفي إلى الحديقة. التقطت باقة من زهور الزنبق والورود البيضاء التي كانت في طور التفتح.

كما كانت هناك بعض أزهار التوليب التي تتفتح مرة واحدة في السنة.

عادت إلى المنزل، فوجدت الباب الامامي مفتوحاً، ورأت حصاناً مقيداً إلى عامود كان والدها قد وضعه هناك.

وقفت للحظة مرتبكة، ثم فكرت انه لا بد ان يكون روبي قد أتى ليخبرها بما حصل بعد رحيلها.

دخلت إلى غرفة الجلوس وباقة الازهار ما زالت في يدها، وقالت: «روبي... هل كنت قلقاً علي؟»

توقفت عن الكلام. لم يكن روبي ذلك الذي يقف في آخر الغرفة، بل كلنت ويكهام.

للحظة شعرت ان قلبها توقف عن الخفقان. ثم شعرت بسبب وجوده بفرح عارم لا يقاوم. لم يتكلم أو يتحرك، فقط اخذ ينظر اليها. شعورها بالخجل جعلها تضع الزهور على احد المقاعد ببطء واضح. وكأنها كانت تعلم انها ستخوض معركة معه، اخذت نفساً عميقاً وهزت كتفيها، ثم رفعت ذقنها بتحد.

سألته: «كيف... استطعت... ان تجدني؟»

قال: «عندما علمت انك غادرت، لم استطع تصديق ذلك!» سارت على مهل نحوه ووقفت امامه. «كان... علي... الذهاب.»

«ظننت، بعد ما حدث ليلة أمس، انك فهمت انني لا استطيع العيش من دونك.»

مضت فترة قصيرة من الصمت بعدها قالت تيلا بنعومة بالكاد سمعها: «كانت ليلة الامس... رائعة... ولكن علمت.. بسبب ذلك.. ان علي الرحيل.»

قال كلمته المعهودة المعتاد عليها: «لماذا؟»

قالت تيلا وهي تختار كلامها بدقة: «بسبب... ان بقيت.. سيكون.. من الصعب علي.. ان ارفض... لك طلباً.»

اجاب كلنت بصوت عميق: «اعتقد انني أوضحت ما اطلب بطريقة جيدة. اني اريدك انت.»

ابتعدت عنه. وقفت امام النافذة تحدق بالحديقة بعينين ذاهلتين.

بعد صمت طويل وعندما لم يتكلم قالت: لأنني احبك، ولأنك تجعلني أنسى كل ما... ألتزم به كان علي الرحيل... ارجوك... ارحل... ارحل الآن. لا نستطيع الاستمرار هكذا، نختلف ونتناقش.»

اجاب كلنت: «هذا أمر لا انوي البتة ان أفعله. ولكنني اعتقد انه علي ان اتفوه بما ظننت انك فهمتيه ليلة أمس.»

لم تقل تيلا شيئاً بل حبست أنفاسها، فقال بهدوء: «انه أمر في غاية البساطة. متى يا عزيزتي، تريدين الزواج مني؟»

شعرت تيلا انها لم تسمع جيداً. هل يعقل ان كلنت ويكهام، بعد كل ما قاله عن انشاء سلالة حاكمة له بالزواج من ابنة دوق يسالها الآن بالفعل ان تتزوجه؟

لمع بخاطرها انه اروع شيء ممكن ان يحدث بالفعل. لم يكن ينوي الزواج، من اوتيلا ستافرلي، التي لها مركز اجتماعي مرموق، لكن من آنسة ستيفنز مربية اطفال غير معروفة ولا شيء يميزها غير خيالها. حتى مهما كان احساسها شعرت بغصة في قلبها، فهو يحبها كثيراً، لكن ربما اعتبر ذلك عملاً خاطئاً. ربما سيندم على ذلك بعد فترة.

قالت بصوت مرتجف: «هل... نسيت... السلالة الحاكمة... التي تريدها؟»

لم تلتفت إليه لذا لم تر ابتسامته وهو يجيب: «بالطبع. افكر بذلك، كما انني ارغب في الحصول عليها.»

شعرت تيلا وكأنها تتجمد. إذن لقد اخطأت في فهم ما قاله. ومن دون ان تشعر عبر الغرفة ووقف وراءها.

أضاف: «سأحصل على سلالتي الحاكمة، لكن بطريقة مختلفة قليلاً عما كنت اخططله سابقاً. اعتقد انك ستقدرينها مثلي تماماً.»

كان من الصعب على تيلا ان تتحرك أو تتكلم. وتقدم حتى وقف أمامها. فكرت عندما نظرت اليه انه يبدو مختلفاً. عندها ادركت انه يبدو كذلك لأنه لأول مرة يبدو سعيداً.

قال: «سنبدأ بسلالة حاكمة يا حبيبتي، وستكون سلالة حاكمة بالحب.»

لم تصدق ما تسمع. سألته متلعثمة: «هل حقاً... تعني... ما تقول؟»

قال: «اعني ذلك تماماً. وسلالتنا الحاكمة ستعبر المحيط وستربط ليس فقط بيننا بل بين بلدينا أيضاً.»

سألته: «هل انت متأكد... متأكد تماماً... من انك لن تندم بعد مرور الوقت... لأنني لست ابنة دوق؟»

قال بثبات: «لن اندم على شيء. لكن إذا رحلت ثانية ساصاب بالجنون.»

سألت بعد لحظة: «كيف... وجدتني؟... هل اخبرك روبي أين ممكن ان اكون؟»

«ستافرلي؟ هل اخبرته انك قادمة إلى هنا؟»

كان الشك واضحاً في نبرة صوته. تذكرت تيلا ان ليس لديه فكرة ان روبي لخاها. كانت تريد الكلام عندما تابع

كلنت: «لقد علمت من ماري ـ لي انك اختفيت. كانت تبكي وتقول انك رحلت. ولحسن الحظ انني كنت بمفردي في المكتب.»

تمتمت تيلا: «لم اكن ارغب في اغضابها.»

«بالطبع كانت غاضبة. قالت لي: احب كثيراً، آنسة ستيفنز يا ابي. عليك ان تعيدها إلى هنا. سأكره كل مربية اطفال غيرها.»

قالت: «اذن... هكذا... علمت بغيابي.. ماذا فعلت بعد ذلك؟»

ابتسم كلنت وقال: «لقد استعملت مخيلتي.»

«كيف؟»

«لم يكن الأمر صعباً، فاذا تركت البيت، من الصعب عليك ان تجدي عربة أو تركبي حصاناً. ففكرت انك ذهبت مشياً وهذا يعني انك تعيشين بالقرب من القصر أو في القرية.»

«كان غباءً مني... ألاّ ادرك كيف ستفكر.»

«كان لدي شعور انك تفكرين بي. ولأنني اريدك بشكل قوي جذبتني بما يسميه الهنود قوة الفكر إلى حيث تسكنين.»

شهقت تيلا: «هذه فكرة رائعة... اذن هكذا أتيت إلى هنا.»

قال كلنت: «لم اخبر أحداً إلى أين ساذهب. ذهبت إلى الاسطبل وركبت حصاني واتيت مباشرة إلى هنا.»

«اذن لم يكن هناك أي غداء. لكن ماذا سيفكر كل ضيوفك؟»

«لا تهتمي للأمر. فالمهم انني وجدتك. ولو لم تكوني هنا، لاستمريت بالبحث عنك من غير ان افكر بهم.»

ضحكت تيلا وقالت: «المسكين باتريك. لقد عانى الكثير من المشاكل ليجعلك شخصاً اجتماعياً مهماً.»

اجاب كلنت: «لقد استفاد كثيراً بذلك، وإن لم اعد ارغب بخدماته وبدون شك، سيجد احداً غيري.»

نظرت اليه تيلا باستفهام فتابع: «بالطبع، انا اعلم انه اخذ الكثير من المال من خلال عرضي وتقديمي، اذا كانت هذه الكلمة مناسبة.»

عندها وبشعور بالرعب تذكرت تيلا دورها في كل هذا التخطيط. تحركت كطفلة خائفة واخفت وجهها عنه.

تمتمت قائلة: «لدي... أمر... اريد ان اخبرك به.»

قال: «اذا كان عن سبب وجودك في المكتب ليلة البارحة لقد علمت بذلك بنفسي.»

«كيف... علمت... بذلك؟»

«عندما علمت ان باتريك على اتصال بعدوي الاسوء توقعت ان يضع جاسوساً في الجوار. لكن لم يكن لدي أي فكرة انها ستكون مثلك أو انها تشبهك يا عزيزتي.»

سألته تيلا: «لم تصدم... ولم تتوقف عن حبك... لي؟»

اجاب كلنت: «انه سؤال جيد، ولكنك تعرفين مثلي تماماً انه ليس باستطاعتنا ان نتوقف عن حب بعضنا البعض.»

سكت قليلاً ثم أضاف: «لقد احببتني أيضاً عندما تركتني وأتيت إلى هنا.»

همست تيلا: «اتيت لأنني احبك. كيف نستطيع ان... نفسد شيئاً كهذا...؟»

قال كلنت: «علمت ان هذا ما تفكرين به. مع ان هذا غير معقول... فهذا ما افكر به أيضاً.»

«آه... كلنت... هل هذا حقاً... ما تفكر به؟»

اجاب: «ستعرفين بنفسك اذا كنت اكذب، وهذا ما لا يجب ان نفعله ابداً، كما انه لن يكون هناك اسراراً بيننا.»

قالت تيلا: «لقد كرهت... الأمر... منذ البداية.»

ذكرها كلنت: «لكن فكري، لو لم تذهبي إلى المكتب البارحة، لما تمكنت من انقاذي. وانا شاكر لك جداً، ان هذين الرجلين مسؤولان عن الكثير من الجرائم في اميركا، ولن يسببا لنا المشاكل ثانية.»

سألت تيلا بصوت خائف: «لكن.. ماذا عن... الرجل الذي... ارسلهما؟»

«لو تعرضت للخطر في المستقبل فأنا متأكد بأنك ستنقذيني. لكن اعدك بأن آخذ كل الحيطة في كل مكان نذهب إليه. اعلم انك تريدين اكتشاف العالم. وهذا ما ستفعله معاً، إلى جانب امور اخرى كثيرة.»

تمتمت تيلا بفرح وتابع كلنت: «كلما اسرعنا في الزواج كان افضل. يبدو الأمر غير معقول. لكن لم اسألك قط ان كان لديك عائلة.»

اجابت تيلا: «سيبدو الأمر اكثر غرابة، عندما تعلم ان روبي أخي.»

حدق بها كلنت للحظة ثم سألها: «هل تقولين لي انك من عائلة ستافرلي؟»

ابتسمت تيلا وقالت بنعومة: «أوتيلا ستافرلي.»

قال كلنت: «اعتقد كان علي ان اعرف ذلك بنفسي، فأنا لم اصدق ان مربية اطفال تدعى ستيفنز ستكون مثلك. أو تكون بذكاء فائق يدعوني إلى ان اجهد فكري لارد عليها.»

قالت تيلا: «عزيزي كلنت. ان كان علي المنافسة مع ابنة دوق كان يجب ان يكون لدي بعض وسائل الدفاع.»

قال كلنت: «اوتيلا ستافرلي. يعجبني ذلك، يعجبني ذلك كثيراً.»

قالت تيلا: «انت تفكر بالسلالة الحاكمة التي ترغب في انشائها.»

«عندما نتزوج ستدركين كم هو الأمر مهم اكثر من أي شيء آخر.»

عندما تكلم كان هناك شوق كبير في عينيه. احمرت خجلاً عندما سألها: «مازلت انتظر جواباً لسؤالي.»

«علينا ان نسأل روبي، فأبي وأمي متوفيان وروبي هو وكيلي. اخشى انه سيجد الأمر صعباً ليصدق ان ويكهام الرجل القوي والذي فعل الكثير لستافرلي يرغب في أن يكون عضواً دائماً في العائلة.»

صحح كلنت: «عضو دائم بالتأكيد. كما انني افكر كيف سارت الأمور على شكل جيد.»

نظرت اليه مستفهمة فقال: «يستطيع روبي الاهتمام بالمنطقة لأجلي، ويعيش هنا في هذا البيت الجميل، وعندما نسافر يستطيع العيش في ستافرلي، والقيام باكثر ما يحبه في حياته، امتطاء الخيل.»

قالت تيلا: «بالطبع يفعل ذلك. انه أمر رائع منك ان تهتم بكل الأمور، ليس من اجلي فقط، بل من اجل روبي أيضاً.»

ابتسم كلنت وقال: «اعرف شخصاً آخر سيكون سعيداً جداً وهي ماري ـ لي.»

نظرت تيلا اليه بقلق: «هل انت متأكد انها لن تمانع ان اخذت مكان أمها في حياتك؟»

أجاب كلنت: «كانت ماري ـ لي مستاءة جداً عندما غادرت القصر، وهكذا علمت انها تحبك واؤكد لك أنها سعيدة معك اكثر من ان تكون مع أي شخص آخر.»

أضاف: «اعتقد انه سيكون لدى ماري ـ لي اخوة واخوات لتلعب معهم. كما ان هناك الكثير من الغرف هنا في ستافرلي كذلك في كل املاكي في اميركا.»

احمر وجه تيلا وبدت خجلة. فكر انه لا يمكن لأحد ان يبدو اجمل منها.

قال: «غاليتي. عزيزتي. كيف يمكن ان اكون احمقاً واظن انني سأشعر بالسعادة مع احد غيرك. لم يكن لدي الوقت لاخبرك انني ارتكبت خطأ كبيراً بزواجي السابق، ولو لم تتوفى زوجتي لكنا وصلنا إلى الطلاق بدون شك. عندها قررت انني اذا تزوجت ثانية سيكون زواجاً ذا مصلحة شخصية، أو زواجاً بالاقناع، مثل زواج الفرنسيين، وبالطبع الارستقراطيين الانكليز.»

قالت تيلا: «اخبرني روبي عن ذلك. ان هناك العديد من الاشخاص يذهبون إلى اميركا للزواج من سيدات ثريات.»

قال كلنت: «وبهذا حصلت على الفكرة، ولكن بطريقة معكوسة فاتيت إلى انكلترا لأجد عروساً ارستقراطية.»

ابتسمت تيلا وقالت: «هذا ما وجده باتريك فكرة جيدة.»

قال كلنت: «لقد دبر كل الأمور لي، لكنه بالطبع نسي، كذلك انا، انني سأقع وبطريقة غير معقولة في حب عاصف مع اجمل انسانة رأيتها في حياتي.»

«آه كلنت... هل انت... متأكد... انك تحبني كفاية؟»

«كفاية لماذا؟ لكي اكون متأكداً انني سابقى سعيداً كل

العمر؟ لأعلم ان لا شيء مهم اكثر من حبك لي؟»

تمتمت تيلا: «هذا كل ما اريد معرفته.»

«اذن ماذا ننتظر بعد؟»

سألته تيلا: «ماذا.. تقول؟ ماذا.. ستفعل؟»

«علينا ان نجد اخيك ونخبره اننا سنتزوج حالاً.»

«هل نستطيع.. فعلاً... ذلك؟»

«هذا ما سنفعله.» قال ذلك بلهجة مليئة بالتصميم.

قالت: «اعتقد انك تعرف بأنه ليس لدي جهاز عروس، ومن الواضح أيضاً ليس هناك وقت للشراء.»

ضحك كلنت وقال: «سنشتري كل ما نحتاجه من باريس. ويسعدني ان اجعلك تبدين اجمل.»

«احبك... احبك.»

كانت الكلمات تتراقص في قلبها وعلمت ان هذا ما تقوله بنفسها. أحسا بنفسهما بأنهما يطيران في الهواء ويشعران كما فكر ليلة أمس انهما يقتربان من ابواب السعادة.

علمت انهما عندما يتزوجان سيمران خلال تلك الابواب، عندها لن يهتما لأي شيء ما لأنهما سيصبحان زوجاً وزوجة.

تمـــت

مع تمنياتي لكم بقضاء وقت ممتع

بلا عنوان

الحب الحاكم

كادت أوتيلا ستافرلي ان تموت جوعاً في قصرها الرائع لافتقارها للمال.

اخبرها شقيقها روبي أن هناك أملاً واحداً، وهو بوصول الملياردير كلنت ويكهام إلى لندن قريباً، واستئجاره القصر. أقنع اوتيلا بأن تصبح مربية أطفال تعتني بابنته الصغير وبذلك تتجسس عليه بطريقة غير عادية وشريرة.

رغم ذلك، انقذت اوتيلا الملياردير من كل اعدائه.